الجمهوريـــــة الـــجزائـــريـــة الديـــمقراطيـــــة الشعبيـــــة
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحث العلمـــي
المركز الجـــامعي ســـوق أهراس

معهد الآداب و اللّغات
قسم اللّغة العربيّة و آدابها

مذكرة مقدّمة مكمِّلة

لنيل شهادة الماجستير في اللّسانيات

خطب الحجّاج بن يوسف الثّقفي
– دراسة لسانيّة نصّيّة –

من إعداد الطّالب:
كمال حملاوي

إشراف:
الأستاذ الدّكتور: بشير إبرير

أعضاء لجنة المناقشة

1- الدّكتور الشريف بوشحدان رئيـــــــــــسا
2- الأستاذ الدّكتور بشير إبرير مشرفـــــا و مقرّرا
3- الدّكتور رشيد شعلال عضـــــوا مناقشا
4- الدّكتور السّعيد شنوقة عضـــــوا مناقشا

السّنة الجامعيّـــــة:
1428 هـ / 1429 هـ
2008 / 2007

المقدّمة

كانت محاولة زوليخ سيباتي هاريس Z.Harris الأولى لتجاوز الجملة في الدراسات اللسانية وجعله الخطاب هو الموضوع الشرعي لها إيذانا بميلاد منهج لساني وحقل معرفي جديد –

وإن لم يقصد ذلك – يسمّى **اللّسانيّات النّصيّة** Linguistique Textuelle ،هذا الحقل المعرفي الجديد الذي أخذ يشقّ طريقه في سنوات الستينات من القرن الماضي حتّى استوى واكتمل وبدأ فعلا في سنوات السبعينات من نفس القرن ، وقد كان ينادي أصحابه بضرورة تجاوز الدراسات اللسانية النحوية الجزئية المبنية على الوصف والوصف فقط دون التطرّق إلى معاني الأنساق اللغوية أو التطرق لتأثير المقام أو السياق الذي قيلت فيه،فعمد أصحاب هذا المنهج على جعل النحو في خدمة وحدة أكبر هي" **النّص**" وذلك بتحليله ودراسته وفق رؤية شمولية بعدّه كلاّ متكاملا وليس مجرّد تتابع من الجمل تُدرس منفصلة ، ودراسته من جميع الجوانب النحوية الدلالية والتداولية من خلال ما اكتسب هذا الحقل المعرفي الجديد من معايير وإجراءات كالاتساق والانسجام والتّرابط والتركيب السياقي .

ومحاولة منّا للوقوف على حدود هذا المنهج اللساني الخصب والمتشعب ارتأينا أن نقدّم هذا البحث المتواضع الذي جاء تحت عنوان:" خطب الحجاج بن يوسف الثقفي دراسة لسانية نصيّة" نقارب من خلاله وبطريقة فعلية وملموسة تلك الإجراءات والمعايير السالفة الذكر لنرى مدى كفاءتها في الكشف عن خبايا النصوص والخطابات ومعرفة مدى قدرتها على وصف العلاقة بين الدلالة والأنساق اللغوية ضمن خطب الحجاج .

هذا وقد وضعنا نصب أعيننا تحقيق العديد من الأهداف من خلال هذا البحث نذكر منها:

1- الوقوف على إرهاصات البحث النّصي ومنطلقاته وأهدافه .

2- الوقوف الحقيقي على الأدوات الإجرائية التي توفرها اللسانيات النصية من خلال حدودها النّظرية وطرق اكتشافها واستنباطها بطريقة عملية تطبيقية من خلال المدونة .

3- الغوص والتعرف عل مدى خصوبة اللسانيات النصية وتوسع آفاقها في حقل الدّراسات اللسانية والنقدية الغربية في ظل اهتمام الخطاب اللساني النقدي العربي بهذه المناهج الحديثة .

4- محاولة إثبات كفاءة النظام اللغوي في المدونة المختارة مع دقة التعبير عن المعاني المقصودة من خلال الإجراءات والمعايير التي توفرها اللسانيات النصية من اتساق وانسجام وإجراءات تداولية .

5- تحديد الصّيغ اللغوية في خطب الحجاج التي تعبّر فعلا عن الحدث والفعل من منظور نظريّة الّفعال الكلامية.

ولتحقيق هذه الأهداف اتبعنا المنهج " **الوصفي**" الذي يقتضي التّصنيف والإحصاء والتحليل والتفسير والتعليل، وقد جاءت خطة بحثنا تبعا لذلك كالآتي :

مقدّمة ومدخل نظريّ وفصلان تطبيقيّان وخاتمة وملحق تضمّن خطب الحجّاج بن يوسف الثّقفي تسهيلا للدّراسة وتعميما للفائدة.

تحدثنا في المقدمة عن إشكالية البحث ومنهجه وخطته .

ووقفنا في المدخل النظري عند الإرهاصات الأولى للبحث النصّي ومنطلقاته وأهدافه، ثم تطرقنا بعد ذلك إلى التعريف باللسانيات النصية ووظيفتها ومهامها في ظل التّداخل المعرفي Interdisciplinaire بينها وبين المعارف والعلوم الأخرى، وفي نهاية هذا المدخل النظري وقفنا على ما أفرزه هذا المنهج اللساني من تصورات ومفاهيم وما تبع ذلك من مصطلحات كثيرة متشعبة من أهمها : النص Texte والخطاب Discours النصانية Textualité والاتساق Cohésion والانسجام Cohérence والتداولية Pragmatique .

أما الفصل الأول الذي جاء تحت عنوان " التشكيل النصي" للمدونة، فدرسنا أدوات الاتساق المبثوثة فيها والمتمثلة في: الإحالة Référence والوصل، وأدوات المقارنة، والتكرار Répétition والاستبدال Substitution والحذف Ellipsis والتوازي Parallélisme ، ثم تحدثنا بعد ذلك عن الانسجام في المدونة وذلك بالوقوف على وظائف اللّغة فيها وكيفيّة مساهمته في التّماسك الدّلالي لأنساقها وبناها .

أمّا الفصل الثاني الموسوم بالتشكيل السياقي لخطب الحجاج فتعرّضنا فيه إلى سياق الكلمة ونسق الخطب وسياق الجملة وتركيب الخطب، وكيف ساهموا في إجلاء الدلالة الكلية أو التأويلية في الخطب .

لنختم هذا الفصل بالحديث عن البعد التداولي للمدونة، وذلك بدراسة الاستلزام الحواري والأفعال الكلاميّة فيها.

ثمّ تأتي الخاتمة التي كانت عبارة عن خلاصة لأهم النتائج المتحصّل عليها، وبعدها الملحق الذي جمعنا فيه خطب الحجاج بن يوسف الثقفي كما قلنا آنفا.

وفي سبيل إنجاز هذا البحث كان لابدّ علينا من الاعتماد على العديد من المصادر والمراجع وفي صدارتها: جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت، أما المراجع فقد كانت مزيجا بين كتب التراث والكتب الحديثة، فمن كتب التّراث نذكر مثلا: كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، وكتاب شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى لابن هشام الأنصاري، وكتاب التلخيص في علوم البلاغة للخطيب القزويني...، وأما أهمّ الكتب الحديثة، فنذكر منها: بلاغة الخطاب وعلم النّصّ لصلاح فضل، وكتاب لسانيات النّصّ "مدخل إلى انسجام الخطاب" لمحمّد خطّابي، وعلم

لغة النّصّ "المفاهيم والاتّجاهات" لسعيد حسن بحيري، وكتاب أصول تحليل الخطاب في النّظريّة النّحويّة العربيّة لصاحبه محمّد الشّاوش... ومن الكتب المترجمة نذكر: كتاب تحليل الخطاب لــ: "براون ويول"، وكتاب النّصّ والخطاب والإجراء لــ: "دبوجراند"، أما الكتب والمراجع الأجنبية فقد كانت قليلة جدّا منها:كتاب:

(D) Mangueneau, initiation aux méthodes de l'analyse de discours.

هذا إلى بعض المجلاّت المتخصّصة في الدراسات اللسانيّة.

وأثناء رحلة بحثنا هذا واجهتنا العديد من الصّعوبات لعلّ أبرزها هو نقص الدّراسات التطبيقيّة المتخصّصة في الدّراسات النّصّيّة، وإن وجدت فهي خاصّة إمّا بالنّصوص الشّعريّة أو بالنّصّ القرآني.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نقدّم شكرنا الخالص لأستاذنا المشرف الدّكتور **بشير إبرير** على ما قدّمه لنا من توجيهات وملاحظات في سبيل إخراج هذا البحث على أحسن صورة، فله منّا تحية تقدير وامتنان، له ولكل مَن ساعدنا من قريب أو من بعيد.

المدخل النّظري

اللسانيات النصية: النّشأة والتطوّر

مقدّمة:

ما يزال النّصّ الأدبيّ منذ القديم وإلى الوقت الحاضر تتجاذبه أطراف عديدة ومناهج من النّظر شتّى، وأكثر هذه الأطراف عناية بطبيعة النّص وبنائه طرفان هما: اللّسانيّات والنّقد الأدبيّ، هذا دون إغفال ما قدّمته الأسلوبيّة وعلوم البلاغة قديما وحديثا، فقد توسّع الأسلوبيّون في استخدام معطيات اللّسانيّات لدراسة الأساليب التي تنشأ من اختيارات خاصّة، يلجأ إليها الكاتب عند الضّرورة لكتابة نصّ خاصّ، أمّا البلاغة فقد كان لها باع كبير في الدّراسات النّصّية، خاصّة منها في وصف النّصوص وتحديد وظائفها الكثيرة ممّا جعل النّقاد يعدّون البلاغة وجها من وجوه نظريّة الأدب، وهذا ينطبق على البلاغة العربيّة مثلما ينطبق على بلاغات أخرى، فالبلاغيّون العرب على غرار غيرهم اعتنوا بالكشف عن التّرابط القائم بين سلسلة من الأقوال المؤلّفة لفقرة أو مجموعة أجزاء من العمل الأدبي، ونجد هذا واضحا فيما قدّمه **عبد القاهر الجرجاني** في كتابه دلائل الإعجاز ونظريّته التي تسمّى **"النّظم"** وما تعلّق بها [1]، وأيضا ما كتبه **حازم القرطاجنيّ** الذي سلّط الضّوء على العلاقات التّرابطيّة لأجزاء القصيدة، فسمّى كلّ جزء منها فصلا، وميّز- مثلا- بين المطلع والمقطع وأطلق على اقتران المقطع بالذي قبله وصفا طريفا هو **"الاطّراد في تسويم رؤوس الفصل"**، وأخضع قصيدة المتنبّي "أغالب فيك الشّوق والشّوق أغلب" لهذا النّوع من النّظر[2] .

أمّا البلاغة الحديثة فأسهمت في توجيه النّظر إلى العلاقات الدّاخليّة في النّصّ، بحديثها عن بعض الصّيغ النّحويّة للتّشبيه والاستعارة، ومن ذلك العلاقة بين الجملة والجملة التّابعة لها أي تلك التي تحتوي على المشبّه به، ووظيفة أداة التّشبيه كلمة كانت أم حرفا أم تركيبا في ربط الجملتين، وهذا أيضا ينسحب على الاستعارة مثلما ينسحب على التّشبيه، وثمّة روافد أخرى غير البلاغة أسهمت في توجيه النّظر إلى قواعد تركيب النّصوص فإلى جانب البلاغيّين من قدماء ومحدثين، نجد أيضا مساهمات الانتروبولوجيّين وعلماء الاجتماع وعلماء النّفس والفلسفة وفقه اللّغة نجدهم

---

(1) تحدث عبد القاهر الجرجاني (471 هـــ) عن كثير من المظاهر اللغوية التي تسهم في تماسك واتساق الخطاب اللغوي منها: الإيجاز والوصل والفصل .ينظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرحه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد ألتونجي، دار الكتاب العربي، لبنان(ط1) 2005 ص153وما بعدها .

(2) ينظر إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة (ط1) 2007 ص186 .

تناولوا النّصوص اللّغوية بالدّراسة والتّحليل بشكل أو بآخر وكلّ منها لغاية معينة [3]، فالشّيء الملاحظ هو أنّ النّصوص اللّغويّة تعتبر المادّة المشتركة بين كلّ هذه العلوم السّالفة الذّكر، لكنّ التّطوّر الذي حدث في العقدين الأخيرين من القرن الماضي، هو الذي أدّى إلى أن تصبح مشكلات التّحليل النّصي وأهدافه الموزّعة على تلك العلوم المختلفة وعلوم أخرى، موضوعا لدراسة متكاملة جديدة مشتركة بين تلك العلوم بحيث كرّست وبعمق ما يسمّى تضافر الاختصاصات Interdisciplinaire، هذه الدّراسة أو هذا العلم هو اللّسانيّات النّصّية Linguistique textuelle [4]، فقد جمع هذا المنهج – إن صحّ التّعبير- شتات الأفكار والآراء والدّراسات النّصية ووضعها في قالب واحد، متوسّلا بها تفكيك وتحليل النّصوص بصورة شموليّة [5]، متجاوزا بذلك ما كان سائدا من تقديس للجملة وقواعدها، لكن كيف تمّ له ذلك؟ وكيف بدأت إرهاصاته الأولى؟ وما هي وظيفته في ظلّ هذا التّداخل المعرفيّ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه من خلال هذا المدخل .

---

(1) ينظر إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، (ط1)، 1997، ص127 وما بعدها.وينظر كذلك منذر عيّشي العلاماتية وعلم النّص، المركز الثّقافي العربيّ المغرب، (ط1)، 2004، ص138و139. وللاستزادة ينظر إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، ص187، وما بعدها.

(2) ينظر صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، (ط 1)، 1996 ص318و319.

(3) تحاول اللسانيات النصية تقديم دراسة شمولية للنّصوص اللغوية من خلال دراستها وتحليليها من جميع المستويات: النّحوية والمعجميّة والدّلاليّة والتّداوليّة.

كانت محاولة زوليخ سيباتي هاريس Z.Harris الأولى لتجاوز الجملة في الدراسات اللسانية وجعله الخطاب هو الموضوع الشرعي لها إيذانا بميلاد منهج لساني وحقل معرفي جديد — وإن لم يقصد ذلك — يسمّى **اللّسانيّات النّصيّة** Linguistique Textuelle ،هذا الحقل المعرفي الجديد الذي أخذ يشقّ طريقه في سنوات الستينات من القرن الماضي حتّى استوى واكتمل وبدأ فعلا في سنوات السبعينات من نفس القرن ، وقد كان ينادي أصحابه بضرورة تجاوز الدراسات اللسانية النحوية الجزئية المبنية على الوصف والوصف فقط دون التطرّق إلى معاني الأنساق اللغوية أو التطرق لتأثير المقام أو السياق الذي قيلت فيه،فعمد أصحاب هذا المنهج على جعل النحو في خدمة وحدة أكبر هي" **النّصّ**" وذلك بتحليله ودراسته وفق رؤية شمولية بعدّه كلاّ متكاملا وليس مجرّد تتابع من الجمل تُدرس منفصلة ، ودراسته من جميع الجوانب النحوية الدلالية والتداولية من خلال ما اكتسب هذا الحقل المعرفي الجديد من معايير وإجراءات كالاتساق والانسجام والتّرابط والتركيب السياقي .

ومحاولة منّا للوقوف على حدود هذا المنهج اللساني الخصب والمتشعب ارتأينا أن نقدّم هذا البحث المتواضع الذي جاء تحت عنوان:" خطب الحجاج بن يوسف الثقفي دراسة لسانية نصيّة" نقارب من خلاله وبطريقة فعلية وملموسة تلك الإجراءات والمعايير السالفة الذكر لنرى مدى كفاءتها في الكشف عن خبايا النصوص والخطابات ومعرفة مدى قدرتها على وصف العلاقة بين الدلالة والأنساق اللغوية ضمن خطب الحجاج .

هذا وقد وضعنا نصب أعيننا تحقيق العديد من الأهداف من خلال هذا البحث نذكر منها:

1- الوقوف على إرهاصات البحث النّصي ومنطلقاته وأهدافه .

2- الوقوف الحقيقي على الأدوات الإجرائية التي توفرها اللسانيات النصية من خلال حدودها النّظرية وطرق اكتشافها واستنباطها بطريقة عملية تطبيقية من خلال المدونة .

3- الغوص والتعرف عل مدى خصوبة اللسانيات النصية وتوسع آفاقها في حقل الدّراسات اللسانية والنقدية الغربية في ظل اهتمام الخطاب اللساني النقدي العربي بهذه المناهج الحديثة .

4- محاولة إثبات كفاءة النظام اللغوي في المدونة المختارة مع دقة التعبير عن المعاني المقصودة من خلال الإجراءات والمعايير التي توفرها اللسانيات النصية من اتساق وانسجام وإجراءات تداولية .

5- تحديد الصّيغ اللغوية في خطب الحجاج التي تعبّر فعلا عن الحدث والفعل من منظور نظريّة الّفعال الكلامية.

ولتحقيق هذه الأهداف اتبعنا المنهج "**الوصفي**" الذي يقتضي التّصنيف والإحصاء والتحليل والتفسير والتعليل، وقد جاءت خطة بحثنا تبعا لذلك كالآتي :

مقدّمة ومدخل نظريّ وفصلان تطبيقيّان وخاتمة وملحق تضمّن خطب الحجّاج بن يوسف الثّقفي تسهيلا للدّراسة وتعميما للفائدة.

تحدثنا في المقدمة عن إشكالية البحث ومنهجه وخطته .

ووقفنا في المدخل النظري عند الإرهاصات الأولى للبحث النصّي ومنطلقاته وأهدافه، ثم تطرقنا بعد ذلك إلى التعريف باللسانيات النصية ووظيفتها ومهامها في ظل التّداخل المعرفي Interdisciplinaire بينها وبين المعارف والعلوم الأخرى، وفي نهاية هذا المدخل النظري وقفنا على ما أفرزه هذا المنهج اللساني من تصورات ومفاهيم وما تبع ذلك من مصطلحات كثيرة متشعبة من أهمها : النص Texte والخطاب Discours النصانية Textualité والاتساق Cohésion والانسجام Cohérence والتداولية Pragmatique .

أما الفصل الأول الذي جاء تحت عنوان " التشكيل النصي" للمدونة، فدرسنا أدوات الاتساق المبثوثة فيها والمتمثلة في: الإحالة Référence والوصل، وأدوات المقارنة، والتكرار Répétition والاستبدال Substitution والحذف Ellipsis والتوازي Parallélisme ، ثم تحدثنا بعد ذلك عن الانسجام في المدونة وذلك بالوقوف على وظائف اللّغة فيها وكيفيّة مساهمته في التّماسك الدّلالي لأنساقها وبناها .

أمّا الفصل الثاني الموسوم بالتشكيل السياقي لخطب الحجاج فتعرّضنا فيه إلى سياق الكلمة ونسق الخطب وسياق الجملة وتركيب الخطب، وكيف ساهموا في إجلاء الدلالة الكلية أو التأويلية في الخطب .

لنختم هذا الفصل بالحديث عن البعد التداولي للمدونة، وذلك بدراسة الاستلزام الحواري والأفعال الكلاميّة فيها.

ثمّ تأتي الخاتمة التي كانت عبارة عن خلاصة لأهم النتائج المتحصّل عليها، وبعدها الملحق الذي جمعنا فيه خطب الحجاج بن يوسف الثقفي كما قلنا آنفا.

وفي سبيل إنجاز هذا البحث كان لابدّ علينا من الاعتماد على العديد من المصادر والمراجع وفي صدارتها: جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت، أما المراجع فقد كانت مزيجا بين كتب التراث والكتب الحديثة، فمن كتب التّراث نذكر مثلا: كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، وكتاب شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى لابن هشام الأنصاري، وكتاب التلخيص في علوم البلاغة للخطيب القزويني...، وأما أهمّ الكتب الحديثة، فنذكر منها: بلاغة الخطاب وعلم النّصّ لصلاح فضل، وكتاب لسانيات النّصّ "مدخل إلى انسجام الخطاب" لمحمّد خطّابي، وعلم لغة النّصّ "المفاهيم والاتّجاهات" لسعيد حسن بحيري، وكتاب أصول تحليل

الخطاب في النّظريّة النّحويّة العربيّة لصاحبه محمّد الشّاوش... ومن الكتب المترجمة نذكر: كتاب تحليل الخطاب لـــ: "براون ويول"، وكتاب النّصّ والخطاب والإجراء لـــ: "دبوجراند"، أما الكتب والمراجع الأجنبية فقد كانت قليلة جدّا منها:كتاب:

(D) Mangueneau, initiation aux méthodes de l'analyse de discours.

هذا إلى بعض المجلاّت المتخصّصة في الدراسات اللسانيّة.

وأثناء رحلة بحثنا هذا واجهتنا العديد من الصّعوبات لعلّ أبرزها هو نقص الدّراسات التطبيقيّة المتخصّصة في الدّراسات النّصيّة، وإن وجدت فهي خاصّة إمّا بالنّصوص الشّعريّة أو بالنّصّ القرآني.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نقدّم شكرنا الخالص لأستاذنا المشرف الدّكتور **بشير إبرير** على ما قدّمه لنا من توجيهات وملاحظات في سبيل إخراج هذا البحث على أحسن صورة، فله منّا تحية تقدير وامتنان، له ولكل مَن ساعدنا من قريب أو من بعيد.

المدخل النّظري

اللسانيات النصية: النّشأة والتطوّر

مقدّمة:

ما يزال النّصّ الأدبيّ منذ القديم وإلى الوقت الحاضر تتجاذبه أطراف عديدة ومناهج من النّظر شتّى، وأكثر هذه الأطراف عناية بطبيعة النّص وبنائه طرفان هما: اللّسانيّات والنّقد الأدبيّ، هذا دون إغفال ما قدّمته الأسلوبيّة وعلوم البلاغة قديما وحديثا، فقد توسّع الأسلوبيّون في استخدام معطيات اللّسانيّات لدراسة الأساليب التي تنشأ من اختيارات خاصّة، يلجأ إليها الكاتب عند الضّرورة لكتابة نصّ خاصّ، أمّا البلاغة فقد كان لها باع كبير في الدّراسات النّصّية، خاصّة منها في وصف النّصوص وتحديد وظائفها الكثيرة ممّا جعل النّقاد يعدّون البلاغة وجها من وجوه نظريّة الأدب، وهذا ينطبق على البلاغة العربيّة مثلما ينطبق على بلاغات أخرى، فالبلاغيّون العرب على غرار غيرهم اعتنوا بالكشف عن التّرابط القائم بين سلسلة من الأقوال المؤلّفة لفقرة أو مجموعة أجزاء من العمل الأدبي، ونجد هذا واضحا فيما قدّمه **عبد القاهر الجرجاني** في كتابه دلائل الإعجاز ونظريّته التي تسمّى **"النّظم"** وما تعلّق بها [1]، وأيضا ما كتبه **حازم القرطاجنيّ** الذي سلّط الضّوء على العلاقات التّرابطيّة لأجزاء القصيدة، فسمّى كلّ جزء منها فصلا، وميّز- مثلا- بين المطلع والمقطع وأطلق على اقتران المقطع بالذي قبله وصفا طريفا هو **"الاطّراد في تسويم رؤوس الفصل"**، وأخضع قصيدة المتنبّي "أغالب فيك الشّوق والشّوق أغلب" لهذا النّوع من النّظر [2].

أمّا البلاغة الحديثة فأسهمت في توجيه النّظر إلى العلاقات الدّاخليّة في النّصّ، بحديثها عن بعض الصّيغ النّحويّة للتّشبيه والاستعارة، ومن ذلك العلاقة بين الجملة والجملة التّابعة لها أي تلك التي تحتوي على المشبّه به، ووظيفة أداة التّشبيه كلمة كانت أم حرفا أم تركيبا في ربط الجملتين، وهذا أيضا ينسحب على الاستعارة مثلما ينسحب على التّشبيه، وثمّة روافد أخرى غير البلاغة أسهمت في توجيه النّظر إلى قواعد تركيب النّصوص فإلى جانب البلاغيّين من قدماء ومحدثين، نجد أيضا مساهمات الانتروبولوجيّين وعلماء الاجتماع وعلماء النّفس والفلسفة وفقه اللّغة نجدهم

---

(1) تحدث عبد القاهر الجرجاني (471 هـ) عن كثير من المظاهر اللغوية التي تسهم في تماسك واتساق الخطاب اللغوي منها: الإيجاز والوصل والفصل .ينظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرحه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد ألتونجي، دار الكتاب العربي، لبنان(ط1) 2005 ص153وما بعدها .

(2) ينظر إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة (ط1) 2007 ص186 .

تناولوا النّصوص اللّغوية بالدّراسة والتّحليل بشكل أو بآخر وكلّ منها لغاية معينة [1]، فالشّيء الملاحظ هو أنّ النّصوص اللّغويّة تعتبر المادّة المشتركة بين كلّ هذه العلوم السّالفة الذّكر، لكنّ التّطوّر الذي حدث في العقدين الأخيرين من القرن الماضي، هو الذي أدّى إلى أن تصبح مشكلات التّحليل النّصي وأهدافه الموزّعة على تلك العلوم المختلفة وعلوم أخرى، موضوعا لدراسة متكاملة جديدة مشتركة بين تلك العلوم بحيث كرّست وبعمق ما يسمّى تضافر الاختصاصات Interdisciplinaire، هذه الدّراسة أو هذا العلم هو اللّسانيّات النّصّية Linguistique textuelle [2]، فقد جمع هذا المنهج – إن صحّ التّعبير- شتات الأفكار والآراء والدّراسات النّصية ووضعها في قالب واحد، متوسّلا بها تفكيك وتحليل النّصوص بصورة شموليّة [3]، متجاوزا بذلك ما كان سائدا من تقديس للجملة وقواعدها، لكن كيف تمّ له ذلك؟ وكيف بدأت إرهاصاته الأولى؟ وما هي وظيفته في ظلّ هذا التّداخل المعرفيّ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه من خلال هذا المدخل .

---

(1) ينظر إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، (ط1)، 1997، ص127 وما بعدها.وينظر كذلك منذر عيّشي العلاماتية وعلم النّص، المركز الثّقافي العربيّ المغرب، (ط1)، 2004، ص138و139. وللاستزادة ينظر إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، ص187، وما بعدها.

(2) ينظر صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، (ط 1)، 1996 ص318و319.

(3) تحاول اللسانيات النصية تقديم دراسة شمولية للنّصوص اللغوية من خلال دراستها وتحليليها من جميع المستويات: النّحوية والمعجميّة والدّلاليّة والتّداوليّة.

1. لمحة تاريخيّة عن إرهاصات البحث النّصي:

لقد كان اهتمام الدّراسات اللّسانية موجّها بالخصوص إلى الوحدات اللّغوية الدّنيا (الصّوتية والصّرفية)، وقد كان موضوعها ضبط الوحدات التّمييزية والدّلالية الدّنيا، ثم عرف مرحلة انتقاليّة كان الاهتمام فيها بمظاهر التّركيب وأقصاه الجملة، و لم يتمّ التّفكير في تجاوز الجملة إلاّ في سنوات السّتينات، مع بروز اهتمام العلماء بالنّص موضوعا للدّراسة اللّغوية[1] وبالتّحديد مع زوليخ سباتي هاريس z.haris، الذي يجمع الدّارسون على أنّه الرّائد في هذا المجال، وبالضّبط في مقاله الذي نشر لأوّل مرّة سنة 1952 تحت عنوان: تحليل الخطاب Analyse de discours في مجلة اللغة language (المجلّد 28 ص01 - 30)، والذي أعيد نشره مترجما إلى اللّغة الفرنسية سنة 1969[2]، ولعلّ اعتبار العلماء هاريس الرّائد في هذا المجال له مايبرّره، لأنّه يعدّ أوّل لسانيّ يعتبر الخطاب موضوعا شرعيّا للدّرس اللّساني، ففي الوقت الذي كان أعظم اهتمام للّسانيّات بالجملة المفردة، أو الجمل المفردة بمعزل عن سيّاقها الذي وردت فيه، اهتم هاريس في هذه المقالة بتوزيع العناصر اللّغوية في النّصوص والرّوابط بين النّص وسيّاقه الاجتماعي [3] ، وقد قال: " يمكن أن نتصوّر تحليل الخطاب انطلاقا من ضربين من المسائل هما في الحقيقة مترابطان: أمّا الأوّل فيتمثّل في مواصلة الدّراسة اللّسانيّة الوصفيّة بتجاوز حدود الجملة الواحدة في نفس الوقت، وأمّا الثاني فيتعلّق بالعلاقة بين الثّقافة واللّغة (أيّ العلاقة بين السّلوك اللّغوي والسّلوك غير اللّغوي)" [4]، ولكنّ هذه المسألة لم يهتم بها باعتبارها قضيّة خارج لسانيّة[5].

([1]) ينظر:محمد الشّاوش، أصول تحليل الخطاب في النّظرية النّحويّة العربيّة "تأسيس نحو النّص" المؤسّسة العربية للتّوزيع،بيروت، المجلّد01 (ط 01) 2001 ص77.

([2]) ينظر:أحمد عفيفي، نحو النّص "اتّجاه جديد في الدّرس النّحوي"، مكتبة زهراء الشّرق، (ط01)، 2001، ص11. وينظر كذلك :محمّد الشّاوش ،السّابق ص 38.

([3]) ينظر:صبحي إبراهيم الفقي، علم لغة النّص بين النّظريّة والتّطبيق "دراسة تطبيّقية على السّور المكّيّة"،ج01، دار قباء للطّبع والنّشر والتّوزيع، (ط01) 2000 ص 23.

([4]) ينظر:محمّد الشّاوش ،السّابق ص38و39.

([5]) ينظر:سعيد يقطين ،تحليل الخطاب الرّوائي(الزّمن، السّرد، التّبئير)، المركز الثّقافي العربي، (ط 03)، 1997، ص17. وللاستزادة ينظر: (d) mangueneau , initiation aux méthodes de l’analyse de discours problèmes et perspectives , classiques hachette1999, p 65.

وبعد هذه الخطوة التي خطاها هاريس من خلال توسيعه مجال الدّرس اللّساني بالخروج من حدود الجملة إلى الخطاب، فتح هذا العمل الباب على مصراعيه لظهور اللّسانيات النّصية أو نحو النّص، وهو أمر يشهد عليه تاريخ نشر هذه الأعمال منها المؤسّسة لهذا العلم بين سنتي 1968و1970، وبعدها في سنوات السّبعينات أصبح النّص مشغلا تخصّص له المؤلفات الجماعية الضّخمة[1]، وهذا يعني أنّ لسانيّات النّص أو نحو النّص مرّ – قبل اكتماله واستوائه – على مرحلتين، مرحلة أولى نادى أصحابها بضرورة تجاوز الجملة وعدم كفايته في التّحليل ووصف الظّواهر اللّغوية التي تتجاوز الجملة ومن أنصاره: هاليداي ورقيّة حسن، وإيزبرغ isenberg، وبرينكر brinker، حيث حملوا على عاتقهم كشف الحاجة الماسّة إلى نحو النّص وضرورة تجاوز منوال الجملة، أمّا الاتّجاه الثّاني فيتناول النّص من حيث هو كلّ ويعتبره منطلقا، ويدرس تركّبه ومفاصله صياغة ومحتوى، ومن روّاده: فان ديك، وبيتوفي petofi ...[2]، حيث تأكّد أنّ المعنى الكلّي للنّص والمعلومات التي يتضمّنها – خاصة التّقنيّة منها والجمالية – أكبر من مجرّد المعاني الجزئيّة للجمل التي تكوّنه [3]، وفي هذا الصّدد يقول فان ديك: "في كلّ الأنحاء السّابقة على نحو النّص وصف للأبنية اللّغوية، ولكنّه لم يُعنَ بالجوانب الدّلالية عناية كافية ممّا جعل علماء النّص يرون أن البحث الشّكلي للأبنيّة اللّغوية ما يزال مقتصرا على وصف الجملة، في حين يتّضح من يوم إلى آخر أنّ جوانب كثيرة لهذه الأبنية – وبخاصة الدّلالية منها – لا يمكن أن توصف إلاّ في إطار أوسع لنحو الخطاب، أو نحو النّص " [4]، ثمّ أخذ نحو النّص منذ منتصف السّتّينات يأخذ

([1]) ينظر:محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ص79.

([2]) ينظر:محمد الشاوش، نفسه، ص98.

([3]) ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة العالمية للنشر لونجمان(ط1) 1996 ص136و137.

([4]) سعيد حسن بحيري ،علم لغة النص "المفاهيم والاتجاهات " الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان (ط1) 1997 ص36.

مكانته تدريجيّا بديلا طبيعيّا لنحو الجملة [1]، حيث فتح للدّرس اللّساني آفاقا واسعة ومنافذ لم تكن لها مكانة من قبل، ومن بينها وظائف اللّغة النّفسانيّة والاجتماعيّة والفنّية والإعلاميّة[2].

02.اللّسانيّات النّصّية: تعريفها ووظيفتها(مهامها):

ذكرنا فيما سبق أنّ اللّسانيّات النّصّيّة بدأت إرهاصاتها مع زوليخ سباتي هاريس في نهاية الخمسينات من القرن الماضي، واستوت واكتملت فيما بعد في سنوات السّتّينات والسّبعينات من القرن نفسه على يد نخبة من الدّارسين، لكنّ الشّيء اللاّفت للنّظر أنّ هذا العلم وخلافا لعلوم أخرى لم يرتبط ببلد معيّن أو اتجاه معيّن، بل نشأ في بلدان مختلفة وبلغات مختلفة وارتبط ارتباطا وثيقا بعلوم لغويّة وغير لغويّة عديدة، كعلوم الشّعر، والبلاغة، والأسلوب، والاجتماع، والنّفس، وغيرها لأنّ هذه العلوم تشتغل بدراسة الظّاهرة اللّغوية وبدراسة النّصوص ولكن من أجل غايات وأهداف – كما سبق وأن قلنا – تختلف باختلاف وجهات النّظر الخاصة بالدّارسين [3]، والسّؤال المطروح هنا: ما هو تعريف اللّسانيات النصية بالضّبط؟ وما هي وظيفتها في ظلّ هذا التّداخل المعرفيّ بينها وبين مجموع هذه العلوم؟

لقد قدّم الدّارسون في هذا الميدان العديد من التّعاريف منهم: جاك ريشاردز Jack Richards الذي يقول بأن هذا العلم: "هو فرع من فروع اللّسانيات يدرس النصوص المنطوقة والمكتوبة... وهذه الدّراسة تؤكّد الطّريقة التي تنتظم بها أجزاء النّص ليخبر عن الكلّ المفيد " [4]

([1]) ينبغي أن نضع في الاعتبار أمرا غاية في الأهمية وهو أن كل أشكال النقد التي وجهت إلى نحو الجملة لا تعني في رأي جل علماء لسانيات النص، أنه لم تعد له قيمة وأنه قد عفا عليه الزمن ،وأن كل هذا التراث النحوي الضخم السابق لأجيال متعددة لم يعد له مكان بل العكس تماما حيث كان الأساس الفعلي الذي بنيت عليه هذه الاتجاهات النصية حيث يقدم نحو الجملة القواعد النحوية المعيارية التي تشكل أسس التحليل في المستوى الأول ثم تعقبها القواعد الدلالية التي تتبلور إلا في مستوى أوسع هو نحو النص. ينظر :سعيد حسن بحيري ،السابق،ص134.وينظر كذلك :سعيد حسن بحيري ،ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي "دراسة في العلاقة بين البنية والدلالة "مكتبة الانجلو المصرية (د ط)1995ص215 وما بعدها .

([2]) ينظر: سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري"دراسة في قصيدة جاهلية" مجلة فصول،المجلد العاشر، العددان الأول والثاني 1991 ص153.

([3]) ينظر: سعيد حسن بحيري ،علم لغة النص ،ص 100و101. وينظر كذلك: إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، ص 185ومابعدها . وللاستزادة: ينظر :صلاح فضل ،بلاغة الخطاب وعلم النص ،ص218.

([4]) ينظر: Jack richards, et al, Longman dictionary of applied linguistics, longman, London , 292.

نقلا عن: صبحي إبراهيم الفقي ،علم لغة النص ،ص35.

وتعريف نيلز إيريك إنكفيست Nils Erik enkvist الذي يقول أنّ: "لسانيّات النّص تعنى في العادة بدراسة الأدوات اللّغوية للتّماسك النّصّي، الشّكلي والدّلالي " [1]، فنلاحظ من خلال هذين التّعريفين أنّ لسانيّات النّصّ استخدمت مصطلحات لم تكن موجودة من قبل في نحو الجملة مثل: التّماسك النّصي، ارتباط الأجزاء، والتّماسك الشّكلي والدّلالي، وهذا يدلّ على أنّها تراعي في تحليلها وتفسيرها عنا صر أخرى إلى جانب القواعد التّركيبية مثل: القواعد الدّلاليّة والمنطقيّة[2]، أمّا عن مهام ووظائف اللّسانيّات النصّية فقد ذكر صبحي إبراهيم الفقي أنّها تقوم على ثلاثة مراحل وهي:

أوّلا: الإحصاء للأدوات والرّوابط التي تسهم في التّحليل.

ثانيا: الوصف لشكل النّص وموضوعاته والوصف لهذه الأدوات والرّوابط .

ثالثا: التّحليل بإبراز دور هذه الرّوابط في تحقيق التّماسك النصّي مع الاهتمام بالسّياق والتّواصل[3]، فنلاحظ أنّ صبحي إبراهيم الفقي انطلق من الأدوات الإجرائيّة للسانيّات النصّية لتبيين مهامها ووظيفتها.

أمّا صلاح فضل فيرى أن مهمّة اللّسانيات النّصية تتمثّل في وصف العلاقات الدّاخلية والخارجيّة للأبنية النّصية بمستوياتها المختلفة، وشرح المظاهر المتعدّدة لأشكال التّواصل واستخدام اللّغة، كما يتمّ تحليلها في العلوم المختلفة [4]، أما دوبوغراند A.R.debougrand فيقول أنّ

([1]) ينظر:

Nils erick enkvist (1987) text linguistics for the applier, an orientation p:26.

نقلا عن صبحي إبراهيم الفقي ، السابق ،ص35.

([2]) تحاول اللسانيات النصية أن تتجاوز من خلال المفاهيم الجديدة أفق الجملة وهذه المفاهيم هي: الاستعمال والتأثير والتفاعل والاتصال والنظام والواقع اللغوي والواقع الخارجي والبنية الكبرى والبنية الصغرى ،والقواعد الصغرى وأشكال مختلفة للسياقات والمقامات وغيرها ...نقول أنها من خلال هذه المفاهيم تجاوز أفق الجملة و لم يكن من اليسير تحقيق ذلك إلا في جوار القواعد التركيبية التي استقيت من نحو الجملة نفسه. ينظر :سعيد حسن بحيري ،علم لغة النص ،ص 100 . وللاستزادة ينظر:سعيد حسن بحيري ، ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي،ص215ومابعدها.

([3]) ينظر: صبحي إبراهيم الفقي ، علم لغة النص بين النظرية والتطبيق ،ص56.

([4])ينظر: صلاح فضل ،بلاغة الخطاب وعلم النص ،ص319.

العمل الأهمّ للّسانيّات النّصية هو دراسة مفهوم النّصانية Textualité من حيث هي عامل ناتج عن الإجراءات الاتّصالية المتّخذة من أجل استعمال النّص [1].

03. المفاهيم والمصطلحات:

أفرزت اللّسانيات النّصية على غرار المناهج اللّغوية الأخرى الكثير من المفاهيم والتّصورات المتداخلة، التي تولّدت عنها ومصطلحات كثيرة متداخلة تدلّ بوضوح على مدى تشعّب هذا العلم وارتباطه الوثيق بعلوم أخرى كما سبقت الإشارة إلى ذلك، ولعلّ أهمّ هذه المصطلحات هو مصطلح النّص .

1.3. النّص Texte:

يعتبر مصطلح النّص من أهمّ مصطلحات هذا العلم على الإطلاق باعتباره يشتغل على دراسة وتحليل النصوص، ويعدّ بؤرة التّوتّر بالنسبة للباحثين في هذا الميدان، فقد تعدّدت تعاريفه إلى حدّ التّناقض أحيانا، والإبهام والغموض أحيانا أخرى، فلا يوجد تعريف معترف به أو مقبول لدى أغلب الدّارسين[2]، لكن هذا لا يمنعنا من عرض بعض التّعاريف ومناقشتها:

جاء في لسان العرب لابن منظور (مادّة نصص): "النّص هو رفعك الشّيء، نصّ الحديث ينصّه نصّا: رفعه، وكلّ ما أظهر فقد نصّ، وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنصّ للحديث من الزّهري، أي أرفع له وأسند، يقال: نصّ الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نصصته إليه، ونصّت الظّبية جيدها: رفعته " [3]، فهذه المعاني كلّها تعود إلى جامع واحد هو"الارتفاع" وهو أظهر مكوّنات الشّيء أو أقصاها [4] أمّا فان ديك[5] فيقول في: "معجم آداب اللّغة الفرنسيّة" أنّ أي تحديد للنّص تقتضي نظريّة أدبيّة، وهذا لم يحدث إلاّ في سنوات السّتّينات والسّبعينات...فقد

([1]) ينظر : دوبوغراند، النص والخطاب والإجراء ترجمة :تمام حسان ،عالم الكتب ،القاهرة (ط1)1998 ص95.

([2]) ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص "المفاهيم والاتجاهات"، ص: 101.

([3]) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، (ط3)، المجلد 07 ، (مادة نصص)، 1994، ص: 97.

([4]) ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص "بحث فيما يكون به الملفوظ نصا"، المركز الثقافي العربي، (ط1) 1993 ، ص: 12.

([5]) يعتبر فان ديك هذا الباحث اللغوي الهولندي أبرز من أولى نحو النص عناية غير محدودة حيث قدم عدة تصورات جوهرية في بحوثه عن تحليل الخطاب وبخاصة "مفاهيم البنية الصغرى والبنية الكبرى، والتركيب العلوي، والقواعد الجزئية والقواعد الكلية وغير ذلك". ينظر: سعيد حسن بحيري، السابق، ص: 310.

حاول في كتابه "بعض أنحاء النّصّ" السعي إلى إقامة تصور متكامل حول النص منذ 1972 وظل على هذا المبدأ في كتابه "النص والسياق" الذي أصدره سنة 1977 حيث أخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد البنوية والسياقية والثقافية...أثناء دراسة أي نص من النصوص اللغوية [1].

وعلى نفس النهج الذي سار عليه فان ديك نجد أن هاليداي [2] رفقة رقية حسن يعرَفان النص بأنه "وحدة في طور الاستعمال" ويظهر أن النص عندهما لا يتعلق بالجمل وإنما يتحقق بواسطتها أو مشفَر Encoded فيها ،فيبدو من خلال هذا التعريف أنهما يركزان على جانبي الوحدة والانسجام وذلك من خلال الإشارة إلى كون النص وحدة دلالية.

أمّا تعريف جوليا كريستيفا فقد كان أكثر عمقا [3]، حيث تقول أنّه"جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللغة بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية، مشيرا إلى بيانات مباشرة تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السّابقة والمتزامنة معها، والنّص نتيجة لذلك إنّما هو عمليّة إنتاجيّة" [4]، ومن فحوى هذا التّعريف يتحدّد النّص كإنتاجيّة Productivité حيث تكون علاقته باللسان الذي يحصل فيه علاقة توزيع أي علاقة بناء وهدم، ومن جهة أخرى يظهر النص من خلال هذا التعريف

([1]) ينظر: سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي(النص والسياق)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، (ط2)، 2001، ص: 14و15.

([2])يعتبر هاليداي من رواد الاتجاه الوظيفي لذلك فإنه يرى أن المعنى أو الدلالة أساس في التحليل اللغوي ،وكما تحدد الوظائف على صعيد تحليل اللسان تحدد على مستوى تحليل النص كوحدة دلالية حيث يقسم الوظائف إلى ثلاث أنماط تجريبية،تواصلية ونصية. فالوظيفة التجريبية Ideational :تبرز في مضمون الاستعمال أي أن اللغة تكون حول سيء ما، وتتكون هذه الوظيفة من بعدين:تجريبي ويتعلق بتجربة المتكلم ،وبعد منطقي تبدو من خلاله العلاقات المنطقية المجردة التي تولد التجربة. أما الوظيفة التواصلية Interpersonal: فتتصل بالبعد الاجتماعي بين الأشخاص لوظائف اللغة التعبيرية حيث يبدو من خلالها تحديد المتكلم ووضعه وأحكامه وعلاقته مع مخاطبه من خلال عملية التخاطب .

أما الوظيفة النصانية textualité فتتضمن الأصول التي تتركب منها اللغة لإبداع النص ليكون منسجما مع ذاته ومع السياق الذي ورد فيه. ينظر: سعيد يقطين ،انفتاح النص الروائي،ص17.

([3]) يعد تعريف جوليا كريستيفا هذه الباحثة اللغوية البلغارية من بين التعاريف التي ظفرت باهتمام الدارسين ،لأنه يطعن في كفاية النظر إلى السطح اللغوي ويبرز ما في النص من شبكات متعالقة حيث تجعله أكثر من مجرد خطاب أو قول لأنه موضوع العديد من الممارسات السيميوطيقية التي يعتد بها على أساس أنها ظاهرة عبر لسانية ، بمعنى أنها مكونة بفضل اللغة لكنها غير قابلة للانحصار في مقولاتها . ينظر صلاح فضل ،بلاغة الخطاب وعلم النص ،ص294و295 .

([4]) ينظر: سعيد يقطين، السابق، ص: 19. وينظر كذلك: صلاح فضل، السابق، ص:295.

أنّه تبادل نصوص أي تناص إذ نجد في فضاء النص عدة ملفوظات مأخوذة من نصوص أخرى غير النّص الأصلي[1].

أمّا تصوّر رولان بارت للنّص [2]، فقد تبلور في عمل قدّمه عام 1971 بعنوان "من العمل إلى النّص" وقدّم فيه نظريّة مركّزة عن طبيعة النّص من مفهوم تفكيكيّ Déconstruire في الدّرجة الأولى حيث يقول: "...إنّ مقولة النّص تشير إلى نشاط وإنتاج...إنّ النّص قوّة متحوّلة تمارس التّأجيل الدّائم، إنّه لانهائيّ ولا مغلق... إنّه عبارة عن استشهادات لا توضع بين أقواس بل تبقى مجهولة...وهو مجموعة من الاقتباسات المجهولة والمقروءة والاستشهادات اللاّشعورية والاستنساخيّة المأخوذة من لغات وثقافات عديدة، وهي التي تضمن إنتاجيّته وممارسته الدّالة على نسيجه المتشابك... وهو كذلك مفتوح ينتجه القارئ أثناء عملية القراءة لتلك الأبنيّة اللغويّة...[3]، وعلى ضوء هذا التّصوّر وهذه الأفكار يعرّف النّص بأنّه "النّسيج وبيت العنكبوت" حيث نجده غير آبه بثنائيّة الكذب والصّدق بل كان همّه هو المعنى الذي يفرضه السّياق على اللّغة، هذا المعنى لا يتمّ إدراكه إلاّ من خلال النّص وبالذّات في نصّيّته: تشابك الشّفرات، الصّيّاغات والدّوال، العلاقات والوظائف، وتتموقع الذّات وتنحلّ مثل عنكبوت تهلك في خيوطها [4]، فنجده يشبّه الكاتب أو النّاص بالعنكبوت وبنية النّص بيتها ونسيجها.

أمّا لوتمان Lotman فلم يقتنع بتلك التّعريفات القصيرة، لذلك نجد تصوّره للنّص أكثر اتّساعا وشمولية، فالنّص حسبه له عدّة خصائص منها:

([1]) ينظر :سعيد يقطين، السابق، ص: 19 و 20.

([2]) لم يخرج تصور الفرنسي رولان بارت للنص عن الخطوط العريضة التي وضعتها البلغارية جوليا كريستيفا خاصة إنتاجية النص وانفتاحه وفكرة التناص.

([3]) ينظر: عمر أوكان، لذة النص أو مغامرة الكتابة لدى بارت، إفريقيا الشرق (دط) 1996، ص30و31. وينظر كذلك: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص: 113. وللاستزادة ينظر صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 297وس298 .

([4]) ينظر: عمر أوكان، المرجع السابق، ص: 31 .

01. **التّعبير**: فالنص يتمثل في علاقات محددة، تختلف عن الأبنية القائمة خارجه والتعبير مهما كان نوعه هو الذي يفرض علينا أن نعتبر النص تحقيقا وتجسيدا ماديا له.

02. **التحديد**: إن كل نص مهما كان نوعه (قصيدة أو قصة أو وثيقة...) يحتوي على دلالة غير قابلة للتجزئة وهذا يعني أنه يحقق وظيفة معينة وينقل دلالاتها الكاملة، والقارئ يعرف هذه الأنواع من النصوص بمجموعة من السمات،ولهذا السبب فإن نقل سمة ما إلى نص آخر هو وسيلة جوهرية لتكوين دلالات جديدة.

03. **الخاصية البنوية**: إن النص ليس مجرد متوالية séquence من مجموعة علامات تقع بين حدين فاصلين ،فالتنظيم الداخلي الذي يولّد البنية الموحّدة لنصّ ما شيء واجب، لذلك كانت البنية شرطا أساسيّا لتكوين النّصوص[1].

أمّا روبرت آلان دي بوجراند Robert Alain de beaugrand وولفجانج ألرخ درسلر Wolfgang ulrih dreasslar فقد عرّفا النصّ بأنّه "حدث تواصليّ Occurrence communicative يلزم لكونه نصّا أن تتوفّر له سبعة عناصر [2] للنّصّية مجتمعة، ويزول عنها هذا الوصف إذا تخلّف واحد من هذه المعايير"[3]، وهذه المعايير هي:

01. **الاتّساق(السّبك)** la cohesion: ويترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السّطحية على صورة وقائع يؤدّي بها السّابق منها إلى اللاّحق بحيث يتحقّق بها التّرابط الرّصفي، وبحيث يمكن استعادة هذا التّرابط، ومن بين هذه العناصر نجد: أدوات الرّبط والإحالة والتّكرار والحذف.

([1]) ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص ،ص 116و117. وينظر كذلك صلاح فضل بلاغة الخطاب وعلم النص، ص300و301.

([2]) هذه المعايير السبعة هي نفسها ما يطلق عليه مصطلح النصانيةTextualité وهي كما يبدو تمثل قواعد صياغة نص ما.

([3]) ينظر: سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري "دراسة في قصيدة جاهلية" مجلة فصول، المجلد العاشر، العددان الأول والثاني 1991، ص154.

02. **الانسجام** la coherence: وهو يتطلّب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه، وتشمل وسائل الانسجام على العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص ... .

03. **القصد** l'intonation: ويتضمّن موقف منشئ النص وقد يكون مباشرا أو غير مباشر لإنتاج نص يتمتع بالاتساق والانسجام، باعتبار أن منتج النص فاعل في اللغة ومؤثر في تشكيلها وتركيبها، وأن مثل هذا النص يعد وسيلة من وسائل متابعة خطَة معينة للوصول إلى غاية بعينها .

04. **الاستحسان** Acceptabilité: ويتضمن موقف المتلقي أو مستقبل النص إزاء لغة نص ما من حيث اتساقها وانسجامها .

05. **المقامية** la situationalité: وتتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه، فمعنى النص واستخدامه يتحدد أصلا من خلال المقام.

06. **التناص** Intertextualité: وهو يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بواسطة أم بغير واسطة .

07. **الإعلامية** Informativité: وهو العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية أو الوقائع في عالم النص في مقابل البدائل الممكنة حيث نجد في كل نص مجموعة من المعلومات تساهم في قبول أو رفض ذلك النص بحسب قيمتها الإعلامية [1] .

وتجدر الإشارة إلى أن وجود تعريف جامع مانع للنص مسألة غير منطقية، ويؤكد ذلك الاختلاف الموجود بين علماء اللغة الذين ينتمون إلى مدارس لغوية مختلفة حول حدود المصطلحات التي ترتكز عليها بحوثهم [2]، وأمام هذه الاختلافات يحاول محمد مفتاح أن يركب بينها جميعا ليستخلص لنا المقومات الجوهرية الأساسية لقيام نص ما وهذه المقومات هي:

– أن النص مدونة كلامية، يعني أنه مؤلف من الكلام وليس صورة فوتوغرافية أو رسما أو عمارة أو زيا وإن كان الدارس يستعين برسم الكتابة وفضائها وهندستها في التحليل.

– وأنه حدث: إن كل نص هو حدث يقع في زمان ومكان معينين لا يعيد نفسه إعادة مطلقة مثله في ذلك مثل الحدث التاريخي.

([1]) ينظر: روبرت آلان دو بوجراند ،النص والخطاب والإجراء ، ص103 وما بعدها.

([2]) ينظر: سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص، ص107 .

– وأنّه تواصليّ يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجارب... إلى المتلقّي.
– وهو تفاعليّ: على أنّ الوظيفة التّواصليّة في اللّغة ليست هي كلّ شيء، فهناك وظائف أخرى للنّص اللّغوي، أهمّها التّفاعليّة التي تقيم علاقات اجتماعيّة بين أفراد المجتمع وتحافظ عليها.
– وهو مغلق أي أنّ له بداية ونهاية هذا من النّاحية الكتابيّة الأيقونيّة ولكنّه من النّاحية المعنويّة هو توالدي، فالحدث اللّغوي ليس منبثقا من عدم وإنّما هو متولّد من أحداث تاريخيّة ونفسانيّة ولغويّة... وتتناسل منه أحداث لغويّة لاحقة له.
فالنّصّ إذن هو: " مدوّنة حدث كلاميّ ذي وظائف متعدّدة "[1].

هكذا يجد الباحث نفسه أمام كمّ هائل من التّعاريف و التّصوّرات المختلفة التي تتناول النّص، الذي لم يحظ لحد السّاعة – على كثرة استعمالاته – بتعريف شاف وقار شأنه في ذلك شأن مصطلح آخر هو الخطاب le discours، وما زاد الطّين بلّة هو التّداخل بينهما في المفهوم والاستعمال[2]، على أنّنا لن نتعرّض إلى هذا التّداخل لأنّنا سنتناول تعريف الخطاب وحده كما فعلنا مع مصطلح النصّ.

2.3. الخطاب le discourse:

سبق وأن قلنا بأن هاريس[3] هو أول من دعا إلى جعل الخطاب الموضوع الشرعي للدرس اللساني، لذلك من الطبيعي أن نبدأ بعرض تعريفه لهذا المصطلح، حيث يعرفه بأنه: " ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظلّ في مجال لسانيّ محض " [4].

([1]) ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري "إستراتيجية التناص" المركز الثقافي العربي، (ط 4) 2005، ص: 120،119.

([2]) ينظر: أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية "بنية الخطاب من الجملة إلى النص"، دار الأمان للنشر والتوزيع الرباط (ط 1) 2001 ص: 16.

([3]) يعتبر هاريس من أنصار الاتجاه التوزيعي لذلك يحاول تحليل الخطاب بنفس التصورات والأدوات التي يحلل بها الجملة، وخير دليل على ذلك هو أن تحديده للخطاب كان انطلاقا من تعريف بلوم فيلد Bloomfield للجملة، وذلك عبر تأكيده على وجود الخطاب رهينا بنظام متتالية من الجمل . ينظر :سعيد يقطين ،تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير) المركز الثقافي العربي (ط3)1997 ص: 17.

([4]) ينظر المرجع السابق نفسه ص17

أمّا بنفنست E. Benveniste فقد كان لتعريفه الأثر الكبير في الدراسات الأدبية التي تقوم على دعائم لسانية، فقد اعتبره"الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل، أو هو مجال من مجالات الاتصال..." والمقصود بذلك: الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ بواسطة متكلّم معيّن في مقام معيّن، وهذا الفعل هو عمليّة التّلفّظ وبمعنى أوسع: " فكلّ عبارة أو تلفّظ يفترض متكلّما ومستمعا كما أنّها تفترض نيّة المتكلّم في التّأثير على المستمع بطريقة أو بأخرى"[1].

ومن خلال هذا التّعريف تجدنا أمام تنوّع وتعدّد الخطابات الشّفوية التي تمتدّ من المخاطبة اليومية إلى الخطبة الرّاقية، وإلى جانب تلك الخطابات نجد أيضا الخطابات المكتوبة والّتي يعاد إنتاجها شفويّا مثل المراسلات، والمذكّرات، والمسرح والكتابات التربويّة...وباختصار فهو يشكل كلّ الأنواع التي يخاطب بها أحدهم نفسه كمتحدّث [2]، إذن نستنتج من تعريف بنفنست أنّ الخطاب هو النّص المكتوب أثناء تأديته ككلام في موقف معين، إضافة إلى عمليّة المخاطبة مهما كان نوعها بين متحدث ومستمع.

أمّا مشال فوكو M. Foucault فقد عرف الخطاب عدّة تعريفات زادت من تعقيد وغموض المصطلح بدل من وضوحه كما يقول، فقد عالجه أحيانا كمجال عام لكلّ العبارات وأحيانا كمجموعة من العبارات الخاصّة، وأحيانا أخرى كممارسة منظّمة تفسّر وتبّرر العديد من العبارات، فالتّعريف الأوّل الذي اعتبر فيه الخطاب مجالا عامّا لكلّ العبارات، هو تعريف واسع يجعل كلّ ما يكتب أو يتفوّه به ويكون له معنى ومفعول في العالم الحقيقي يجعله خطابا، أمّا التّعريف الثّاني فهو مجموعة من العبارات الخاصّة، فهو يتناول البنى الخاصّة التي تهيكل الخطاب بحيث يسعى إلى تمييز الخطابات أو مجموعة العبارات التي تبدو منظّمة بطريقة معيّنة ومنسجمة ولها مفعول مشترك وقوّة واحدة مثل خطاب الأنوثة وخطاب الامبرياليّة... أمّا التّعريف الثّالث الذي يعتبر الخطاب كممارسة منظّمة تفسّر وتبرّر العديد من العبارات فيبدو أنّ فوكو يهتمّ من خلاله

([1]) ينظر : : (E) Benveniste, probleme de linguistique generale, edit : Gallimard, 1966, p : 129, 130 .

([2]) ينظر: ساره ميلز ، الخطاب ،ترجمة: يوسف بغول ، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات جامعة منتوري قسنطينة (ط4) 2000 ص03و04.

بالتّراكيب والقواعد التي تحكم الخطاب أكثر من اهتمامه بالعبارات و النّصوص النّاتجة عنها، فأهمّ شيء في هذا التّعريف أنّ الخطاب يخضع لقواعد وضوابط معيّنة[1].

أمّا ديبورا شيفرين Deborah shiffrin فقد عرض ثلاث تعريفات تمثل في مجملها كلّ التّعدد الذي لحق بمصطلح الخطاب وتعريفه مع نسبها كلّ تعريف إلى منهجه، فقد ورد الخطاب عند الباحثين بوصفه واحدا من ثلاثة: بوصفه أكبر من الجملة، أو بوصفه استعمالا أي وحدة لغويّة، أو بوصفه الملفوظ [2].

وهكذا نرى أنّ مدلولات المصطلح (الخطاب) تتعدّد إلاّ أن هذا لا يعني تعارضها، بل تتّفق كلّها على أنّه ممارسة لملكة اللّغة، غير أنّها تختلف في زاوية النّظر إلى هذه الممارسة، بمعنى أنّ الخلاف لا يمسّ شكل المضمون الذي تؤدّيه هذه اللّفظة [3].

3.3.الاتّساق La cohésion:

يعتبر مصطلح الاتّساق من الكلمات المفاتيح في اللّسانيات النصية، خاصّة إذا علمنا صلته الوثيقة بالجانب التّطبيقي منها "فهو مجموع الإمكانيّات المتاحة في اللّغة لجعل أجزاء النّص متماسكة بعضها ببعض" [4]، ويقوم على مبدأ الاعتماد النّحوي الذي يتحقّق في شبكة من العلاقات الهرميّة والمتداخلة، ويأت في مستويات صوتيّة وصرفيّة ومعجميّة وتركيبيّة ودلاليّة، كما يتّخذ أشكالا من التّكرار الخالص، والتّكرار الجزئي وشبه التّكرار، وتوازي المباني، وتوازي التّعبير، والإسقاط، والاستبدال، وعلاقات الزمن وأدوات الربط[*] بأنواعها المختلفة[5].

([1]) ينظر المرجع السابق نفسه ص 05 .وللاستزادة ينظر: عبد العزيز العيادي، ميشال فوكو، المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع (ط1) 1994 ص19 وما بعدها.

([2]) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب"مقاربة لغوية تداولية" دار الكتاب الجديد المتحدة، (ط 1) 2004 ص37 .

([3]) ينظر: إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، دراسة تطبيقية (رواية جهاد المحبين لجرجي زيدان نموذجا) دار الآفاق الجزائر (ط2) 2003 ص17.

([4]) ينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب ج1 ص124 .

([*]) أدوات الربط منها :الإحالة بأنواعها القبلية والبعدية والضمائر وحروف العطف وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وحروف الاستدراك وأدوات المقارنة ...

([5]) ينظر: سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، ص: 157.

وبعبارة بسيطة فهو يعنى برصد الوسائل النّحوية السّالفة الذّكر التي يتحقّق بها التّرابط الشّكلي للنّص أو الخطاب .

3. 4 الانسجام La coherence:

لا يقل الانسجام أهمية عن الاتساق فإذا كان هذا الأخير يهتم بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص la surface de texte فإن الانسجام يختص بالاستمرارية المحققة في عالم النص le monde de texte والعلاقات les relations الرابطة بين هذه المفاهيم، وكلا هذين الأمرين هو حاصل العمليات الإدراكية المصاحبة للنص إنتاجا أو تلقيا واستيعابا [1]. فالانسجام إذن أعم من الاتساق كما أنه أعمق منه بحيث يتطلب بناؤه من المتلقي صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده، بمعنى رصد المتحقّق فعلا (أو غير المتحقق) أي الاتساق، إلى الكامن (الانسجام)[2].

5.3. التّداوليّة pragmatique:

ارتبط ظهور التّداوليّة بمجموعة من التّراكمات القديمة والحديثة في مجال فلسفة اللغة، وتعود جذورها الأولى إلى الفلاسفة اليونان كسقراط وأرسطو والرّواقيّين لكنّها لم تكن واضحة المعالم لديهم[3]، أما المفهوم الحديث لهذا المصطلح فيعود للفيلسوف "تشارلز موريس" Ch. Morris انطلاقا من عنايته بتحديد الإطار العام لعلم العلامات أو السيميائية وذلك من خلال تمييزه بين ثلاثة فروع هي:

1. **النّحو والتّراكيب** (syntaxe): وهو دراسة العلاقة الشكلية للعلامات بعضها ببعض .
2. **الدّلالة** (sémantique): وهي دراسة علاقة العلامات بالأشياء التي تؤول إليها هذه العلامات .

([1]) ينظر: المرجع السابق نفسه، ص: 154

([2]) ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص "مدخل إلى انسجام الخطاب" المركز الثقافي العربي (ط1)1991 ص05و06 .

([3]) ينظر: راضية خفيف، التداولية في اللسانيات الحديثة، مجلة اللسانيات واللغة العربية، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، جامعة باجي مختار عنابة، عدد02 ، 2006 ص242 .

3. **التّداوليّة** (pragmatique): وهي دراسة علاقة العلامات بمستعمليها ومؤوليها [1] .

وتعدّ التّداوليّة أحدث فروع العلوم اللّغويّة، عمد إليه الباحثون ليمدّهم برؤى متعدّدة لقصور الدّراسات الشّكليّة [2]، وإهمالها لمقاربة اللّغة في تجليها الحقيقيّ، أي في الاستعمال والتّواصل بين النّاس [3].

وتشير معظم الدراسات إلى تداخل هذا الحقل المعرفي الجديد مع حقول أخرى مثل اللّسانيّات، والسّيميائيّة وعلم الاجتماع... ومن دون شكّ فهذا هو السّبب الذي أدّى إلى تعدّد وتنوّع مفهومه، بحيث يعرفها كل باحث انطلاقا من مجال اهتمامه، فقد يقتصر الباحث على دراسة المعنى وليس المعنى بمفهومه الدلالي البحت بل المعنى في سياق التواصل فيعرفها بأنّها دراسة المعنى التواصلي أو أثناء التواصل اللغوي...وقد يعرفها انطلاقا من اهتمامه بتحديد مراجع الألفاظ وأثرها في الخطاب ومنها الاشاريات بما في ذلك طرفي الخطاب وبيان دورهما في تكوين الخطاب ومعناه وقوته...كما قد تعرف التداولية من وجهة نظر المرسل بأنها كيفية إدراك المعايير والمبادئ التي توجهه عند إنتاج الخطاب باعتبار عناصر السياق... ومن هذه الرؤى تغدو التّداوليّة في مفهومها العام هي دراسة الاتّصال اللّغوي في السّياق [4].

هذا ويكاد الباحثون يتفقون على أن التّداولية تقوم على دراسة أربعة عناصر أو جوانب هي : الإشارة والافتراض السّابق والاستلزام الحواري والأفعال الكلاميّة[5].

([1]) ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، (دط)2002 ص09 .

([2]) المقصود هنا هي الأفكار التي جاء بها فرديناند دوسوسير F. Dessaussur، من خلال نظريّته البنويّة وما تبعها بعد ذلك من أفكار.

([3]) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب ،ص21 .

([4]) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص 21 و 22. راضية خفيف، التداولية في اللسانيات الحديثة، ص 242 و243.

([5]) ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 15. وينظر كذلك، الجلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1992، ص 43و44 .

1. التّعريف بالمدّونة وبصاحبها:

المدوّنة موضوع دراستنا هي خطب الحجّاج بن يوسف الثّقفي (*)، ألقاها بعد قتله ابن الزّبير بمكّة، وفي فترة تولّيه حكم العراق في عهد بني أميّة تحت إمرة عبد الملك بن مروان، وهي تمثّل أوجّ العنف الذي بلغته الخطابة في العصر الأمويّ، فقد كانت جلّها حافلة بالتّهديد والوعيد، بل تعدّت ذلك إلى الشّتيمة واللّعنة ممزوجة بالحقد والنّقمة التي لم تظهرفقط في كلام الحجّاج بل عمد على تجسيد وإظهار تلك الأحاسيس لشعب العراق بالقتل والتّنكيل والسّفك والنّهب وضرب الأعناق والهامات، حتّى غطّت على خطبه الوعظيّة، و لم تشفع له أبدا لدى أهل العراق، حيث قال الحسن البصريّ: " ألا تعجبون من هذا الفاجر؟ يرقى عتبات المنبر فيتكلّم بكلام الأنبيّاء، ويترل فيفتك فتك الجبّارين، يوافق الله في قوله ويخالفه في فعله"(1).

(*) هو أبو محمّد الحجّاج بن يوسف، لقب بالثّقفي نسبة إلى قبيلة ثقيف، ولد في الطّائف سنة 41 هـ ، ونشأ فيها، وهو أحد جبابرة العرب وساستها، وموطّد حكم بني أميّة، كان آية في البلاغة وفصاحة اللّسان وأحد البلغاء والخطباء المصاقع، يقول الأصمعيّ فيه: " أربعة لم يلحنوا في جدّ ولا هزل: الشّعبيّ، وعبد الملك بن مروان، والحجّاج بن يوسف، وبن القرية، وكان الحجّاج أفصحهم، ومن مآثره اهتمامه بوضع النّقط والشّكل للمصحف وغيره، ونسخه عدّة مصاحف من مصاحف عثمان، وإرسالها إلى بقيّة الأمصار، التحق بشرطة روح بن زنباع الخزمي، وما لبث أن ولاّه الخليفة على الشّرطة نظرا لصرامته وشدّته، فتألّق نجمه حيث حمل الشّرطة على الطّاعة والتّقيد بالنّظام، ولّما افتتح عبد الملك بن مروان العراق أرسل الحجّاج لفتح الحجاز ففعل ونجح في مهمّته، وما لبث أن ولاّه على العراق لما استشرى الفساد فيها، وهناك ألقى أغلب خطبه إن لم نقل كلّها، و لم يكتف بالخطابة فقط بل قتل خلقا كثيرا منهم خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة منهنّ ستة عشرا ألفا مجرّدة، وكان يحبس النّساء والرّجال في موضع واحد من دون ستر للحرّ أو البرد، وقد كان يخبر عن نفسه أن أكثر لذّاته سفك الدّماء وارتكاب أمور لا يقدر عليها غيره ولا سبق إليها سواه، وقد توفي في سنة خمس وتسعين للهجرة، وهو ابن أربع وخمسين في مدينة واسط بالعراق، وكان تأمّره على النّاس عشرين سنة. ينظر السّيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيّات وإنشاء لغة العرب، تحقيق لجنة من الجامعيّين، منشورات مؤسّسة المعارف، بيروت ج 1، د ت ، ص 123. وينظر كذلك أبي الحسن عليّ بن الحسين المسعودي، مروج الذّهب ومعادن الجوهر، تحقيق وتعليق : سعيد محمد اللّحام، دار الفكر بيروت ، لبنان، ج3، ط1 ، 2000 ص 34و137. وللاستزادة ينظر إليا حاوي، فنّ الخطابة وتطوّره عند العرب، دار الثّقافة بيروت لبنان، د ط، 1997، ص276.

(1) ينظر: أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة، ج02، العصر الأموي، المكتبة العلمية بيروت لبنان، ط1، 1933، وينظر كذلك إليا حاوي، السّابق،ص277و288.

الفصل الأوّل

التشكيل النصي للمدونة

مقدمة :

إنّ تحقيق الوحدة النّصيّة ككلّ يرتكز على عدّة عناصر لغويّة وغير لغويّة، تسهم كلّها في إيجاد نوع من التّماسك بين الوحدات الجزئية المكوّنة للنّص اللّغويّ، وباعتباره بنية معقّدة ذات أبعاد أفقيّة وتداخل دلاليّ متلاحم، فإنّ كلّ دراسة لذلك التّرابط اللّغوي لنصّ ما، تكون قاصرة إذا لم تتعدّ المستوى البسيط من مستويات التّحليل والوصف، بل لابدّ من صرف النّظر كذلك جهة العناصر الخارجيّة التي تتحقّق في صورة مجموعة من الرّواب ط اللّفظية، إلى جوار العناصر الدّاخلية التي تتمثّل في العلاقات الباطنيّة التي تقيم شبكة متداخلة شديدة التّعقيد، وتتضافر هذه الرّوابط اللّغويّة مع الرّوابط غير اللّغويّة لتحقيق أكبر قدر ممكن من الاتّساق والانسجام [1]، ولمّا كان للتّرابط اللّغوي هذه الأهمّية في إظهار مدى اتّساق وانسجام النّصوص، كان لزاما علينا ونحن بصدد دراسة خطب الحجّاج بن يوسف الثّقفي دراسة لسانيّة نصّيّة أن نحاول تتبّع وإظهار هذه الرّوابط التي تعتبر الضّامن الوحيد في تماسك بناء النّص وعالمه.

1. **الاتّساق:** سنحاول إذا تتبّع وسائل الاتّساق المبثوثة في المدّونة موضوع الدّراسة، لأنّها تسمح لنا بإدراك العلاقات الرّابطة بين الجمل داخل النّص، وكذلك ليتجلّى لنا مدى تماسك المدوّنة من النّاحية الشّكلية ، لأنّ الاتّساق : " هو ذلك التّماسك الشّديد بين الأجزاء المشكّلة لنصّ أو خطاب ما، ويهتمّ فيه بالوسائل اللّغوية (الشّكلية) التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من خطاب أو خطاب برمّته " [2]، وهذه الوسائل تتمثّل في الإحالة أو الضّمائر، وأدوات المقاربة، والتّكرار والاستبدال، والحذف، والتّوازي ....

1.1 **الإحالة Reference** تعتبر الإحالة أهمّ عنصر من عناصر الاتّساق ، لأنّ بواسطتها تتشكّل طبقة من العلاقات بين العناصر المتباعدة في النص، حيث تجعل منه لحمة واحدة، وهي ببساطة كما يقول "جون لايز **j.lyons** ' في سياق حديثه عن المفهوم الدّلاليّ التّقليدي لها: "علاقة بين الأسماء والمسمّيات؛ أي أنّ الأسماء تحيل إلى المسمّيات "[3].

---

(1) سعيد حسن بحيري ، ظواهر تركيبية في مقامات أبي حيان التوحيدي " دراسة في العلامة بين البنية والدلالة "، مجلة الألسن المصرية (د.ط) 1699 ، ص 236.

(2) محمد خطابي ، لسانيات النص، " مدخل إلى انسجام الخطاب "، المركز الثقافي العربي، (ط1) 1991، ص5.

(3) جيليان براون وجورج بول " تحليل الخطاب "، ترجمة لطفي الزليطي ، النشر العلمي والمطابع (دط)،1997، ص 39.

ويطلقها الأزهر الزّناد على " قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة بل تعود على عنصر أو عدة عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب ... وتقوم على مبدأ التّماثل بين ما سبق ذكره في مقام وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر ... "[1].

وبساطة الإحالة تنشأ من استخدام الضمائر، وفي أغلب الأحيان تكون متصلة وهي عديدة، وأشهرها على الإطلاق الإحالة القبليّة والإحالة البعديّة.

وعندما نأتي إلى تتبّع ورصد الإحالة في خطب الحجّاج، فإنّنا سنقف على المئات منها؛ حيث نجد أكثر من (1200 ألف ومائتين وسيلة ربط منها 770 إحالة)؛ لذلك سنختار خطبة[*] من خطبه السّياسيّة، وهي الخطبة السّادسة، وهي خطبته بعد وقعة دير الجماجم، وخطبة أخرى من خطبه الوعظيّة ، وهي الخطبة الأولى منها.

وسنعرض العناصر الإحاليّة في هاتين الخطبتين في الجدول الآتي، ولكن قبل ذلك لابدّ من بعض التّوضيحات عن هذا الجدول، حيث يتكوّن من خمس خانات:

1. احتوت الخانة الأولى على اسم الخطبة موضوع التّحليل أو رقمها.
2. واحتوت الخانة الثّانية على عدد الرّوابط في الخطبة.
3. أما الخانة الثالثة فخصّصناها للعنصر اللّغوي الذي يتضمّن وسيلة الاتّساق كيف كان نوعها.
4. في حين تضمّنت الخانة الرّابعة نوع العنصر الاتّساقي:

إح ض قب = إحالة ضميريّة قبليّة.

إح ض إش = إحالة ضميريّة إشاريّة.

إح ض بع = إحالة ضميريّة بعديّة.

عط = عطف.

مقا = مقارنة.

استد = استدراك.

عط سب = عطف سببيّ.

---

(1) الأزهر الزّناد، نسيج النصّ، ص118.

(*) إنّ حصرنا للمدوّنة سيكون مؤقّتا، وسنلجأ إلى هذه الخطوات تلافيا للتّطويل خاصة في بعض عناصر التّحليل، خاصة في عنصر الإحالة وتحوّلاتها.

5. أمّا الخانة الخامسة فهي خاصة بالعنصر المفترض (الكلمة المحال إليها).

اسم الخطبة أو رقمها	عدد الروابط	العنصر الاتّساقي	نوعـــــــــه	العنصر المفترض أو المحال إليه
خطبة الحجاج بعد وقعة دير الجماجم رقم: 06	151 رابطا	استبطنكم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق
		ف	عط سب	استبطنكم
		خالط (هو)	إح ض قب	الشيطان
		و	عط	اللحم
		و	عط	الدم
		و	عط	العصب
		و	عط	المسامع
		و	عط	الأطراف
		و	عط	الأعضاء
		ثم	عط	خالط
		أفض (هو)	إح ض قب	الشيطان
		و	عط	المخاخ
		ثم	عط	أفضى
		ارتفع (هو)	إح ض قب	الشيطان
		فـــ	عط سب	ارتفع
		عشش (هو)	إح ض قب	الشيطان
		ثم	عط	عشش
		باض (هو)	إح ض قب	الشيطان
		و	عط	باض
		فرخ (هو)	إح ض قب	الشيطان
		فـــ	عط سب	فرّخ
		و	عط	نفاقا

		و	عط	حشاكم
		أشعركم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق
		اتّخذتموه (هو)	إح ض قب	الشيطان
		تتّبعونه (هم)	إح ض قب	دليلا (الشيطان)
		و	عط	دليلا
		تطيعونه(هو)	إح ض قب	قائدا(الشيطان)
		و	عط	قائدا
		تستشيرونه(هو)	إح ض قب	مؤامرا(الشيطان)
		فـــ	عط سب	تستشيرونه
		تنفعكم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق
		أو	عط	تنفعكم
		تعظكم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق
		أو	عط	تعظكم
		يحجزكم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق
		أو	عط	يحجزكم
		ينفعكم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق
		ألستم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق
		أصحابي أنا	إح ض بع	الحجّاج
		رمتم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق
		و	عط	رمتم
		سعينم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق
		و	عط	سعيتم
		استجمعتم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق
		و	عط	استجمعتم
		ظننتم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق

	يخذل (هو)	إح ض قب	الله
	دينه (هو)	إح ض قب	الله
	و	عط	دينه
	خلافته (هو)	إح ض قب	الله
	و	عط	خلافته
	أرميكم (أنا)	إح ض قب	أهل العراق
	طرفي (أنا)	إح ض قب	الحجاج
	و	عط	أنا
	تتسلّلون(أنتم)	إح ض قب	أهل العراق
	و	عط	تتسللون
	تنهزمون(أنتم)	إح ض قب	أهل العراق
	و	عط	يوم الزاوية
	بها (هي)	إح ض قب	يوم الزاوية
	كان(هو)	إح ض بع	فشلكم
	فشلكم(أنتم)	إح ض قب	أهل العراق
	و	عط	فشلكم
	تنازعكم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق
	و	عط	تنازعكم
	تخاذلكم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق
	و	عط	تخاذلكم
	منكم	إح ض قب	أهل العراق
	و	عط	براءة
	وليّكم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق
	عنكم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق
	ولّيتم(أنتم)	إح ض قب	أهل العراق

		كالإبل	مقا	أهل العراق
		أوطانها (هي)	إح ض قب	الإبل
		أعطافها(هي)	إح ض قب	الإبل
		يسأل(هو)	إح ض بع	المرء
		أخيه (هو)	إح ض قب	المرء
		و	عط	لايسأل
		يلوي (هو)	إح ض بع	الشيخ
		بنيه	إح ض قب	الشيخ
		حتّ	عط	يلوي
		عظّكم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق
		و	عط	عظكم
		قصمتكم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق
		ثم	عط	يوم الزاوية
		و	عط	يوم دير الجماجم
		بها (هي)	إح ض قب	يوم دير الجماجم
		كانت (هي)	إح ض بع	المعارك والملاحم
		و	عط	المعارك
		يزيل (هو)	إح ض قب	ضرب
		مقيله (هو)	إح ض قب	إلهام
		و	عط	يزيل
		يذهل (هو)	إح ض قب	ضرب
		خليله(هو)	إح ض قب	الخليل
		و	عط	أهل العراق
		و	عط	الكفرات
		و	عط	الغدرات

بعثتكم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق	
ثغوركم(أنتم)	إح ض قب	أهل العراق	
غللتم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق	
و	عط	غللتم	
خنتم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق	
و	عط	خنتم	
أمنتم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق	
أرجفتم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق	
و	عط	أمنتم	
خفتم(أنتم)	إح ض قب	أهل العراق	
نافقتم(أنتم)	إح ض قب	أهل العراق	
تذكرون (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق	
و	عط	تذكرون	
تشكرون (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق	
استخفّكم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق	
أو	عط	استخفكم	
استغواكم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق	
أو	عط	استغواكم	
استنصركم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق	
أو	عط	استخفكم	
استعضدكم(أنتم)	إح ض قب	أهل العراق	
تبعتموه (هو)	إح ض قب	ناكث	
و	عط	تبعتموه	
آويتموه(هو)	إح ض قب	غاو	
و	عط	آويتموه	

	نصرتموه(هو)	إح ض قب	ظالم
	و	عط	نصرتموه
	زكّيتموه (هو)	إح ض قب	خالع
	شغب (هو)	اح ض بع	شاغب
	أو	عط	شغب
	نعب(هو)	اح ض بع	ناعب
	أو	عط	نهب
	زفر(هو)	اح ض بع	زافر
	كنتم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق
	أتباعه (هو)	إح ض قب	شاغب ناعب زافر
	و	عط	أتباعه
	أنصاره (هو)	إح ض قب	شاغب ناعب زافر
	تنهكم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق
	تزجركم (أنتم)	إح ض قب	أهل العراق
	لكم (أنتم)	إح ض قب	أهل الشام
	كالظّليم	مقا	الظليم الرامح
	فراخه (هو)	إح ض قب	الظليم الرامح
	ينفي (هو)	إح ض قب	الظليم الرامح
	عنها(هي)	إح ض قب	فراخه
	و	عط	ينفي
	يباعد(هو)	إح ض قب	الظليم الرامح
	عنها (هي)	إح ض قب	فراخه
	و	عط	يباعد

		يكنّها (هي)	إح ض قب	فراخه
		و	عط	لكنّها
		يحميها (هي)	إح ض قب	فراخه
		و	عط	يحميها
		يحرسها (هي)	إح ض قب	فراخه
		و	عط	الجنّة
		و	عط	أنتم الجنّة
		و	عط	العدّة
الخطبة الموعظية الأولى	عدد روابطها	العنصر الاتّساقي	نوعه	العنصر المفترض أو المحال إليه
	65رابطا	أيّها	إح ض بع	النّاس
		أصبحتم (أنتم)	إح ض قب	النّاس
		و	عط	أجل
		و	عط	دائب
		غيره (هو)	إح ض قب	ساع
		و	عط	ساع
		أعناقكم (أنتم)	إح ض قب	النّاس
		و	عط	الموت
		أيديكم (أنتم)	إح ض قب	النّاس
		و	عط	النّار
		أمامكم (أنم)	إح ض قب	النّاس
		خذوا (أنتم)	إح ض قب	النّاس
		أنفسكم (أنتم)	إح ض قب	النّاس
		أنفسكم (أنتم)	إح ض قب	من أنفسكم
		و	عط	النّاس

		غناكم (أنتم)	إح ض قب	النّاس
		فقركم (أنتم)	إح ض قب	من غناكم
		و	عط	النّاس
		أيديكم (أنتم)	إح ض قب	النّاس
		أيديكم (أنتم)	إح ض قب	ما قد مضى
		فكأن (هو)	مقا	ما قد مضى
		يكن (هو)	إح ض قب	فكأنّ ماقد مضى
		و	عط	الأموات
		كأن	مقا	الأموات
		يكونوا (هو)	إح ض قب	كأنّ الأموات
		و	عط	كلّ
		ترونه (هو)	إح ض قب	كلّ ما ترونه
		فـــ	عط سب	كلّ ما ترونه
		إنه (هو)	إح ض قب	كلّ ما ترونه
		ذاهب (هو)	إح ض قب	شمس عاد
		هذه	إح ض إش	عاد
		و	عط	ثمود
		ذلك	إح ض إش	عاد وثمود
		هذه	إح ض إش	الشّمس
		التي (هي)	إح ض قب	الشّمس
		طلعت (هي)	إح ض قب	الشّمس
		و	عط	التّبابعة
		و	عط	الأكاسرة
		خزائنهم (هم)	إح ض قب	التّبابعة والأكاسرة
		أيديهم(هم)	إح ض قب	التّبابعة والأكاسرة

		و	عط	خزائهم
		قصورهم (هم)	إح ض قب	التّبابعة والأكاسرة
		ثم	عط	طلعت
		طلعت (هي)	إح ض قب	الشّمس
		قبورهم (هم)	إح ض قب	التّبابعة والأكاسرة
		و	عط	المحاسب
		منصوب (هو)	إح ض قب	الصّراط
		و	عط	الصّراط
		تزفر (هي)	إح ض قب	جهنّم
		و	عط	تزفر
		تتوقّد (هي)	إح ض قب	جهنّم
		و	عط	جهنّم
		ينعمون (هم)	إح ض قب	أهل الجنّة
		يحبرون (هم)	إح ض قب	أهل الجنّة
		جعلنا (نحن)	إح ض قب	الحجّاج+ الناس
		و	عط	جعلنا
		إيّاكم (أنتم)	إح ض قب	النّاس
		الذين	إح ض بع	إذا ذكّروا بآيات الله
		ذكّروا (هم)	إح ض قب	الذين = الحجّاج+ النّاس
		ربّهم (هم)	إح ض قب	الذين = الحجّاج+ النّاس
		يخرّوا (هم)	إح ض قب	الذين = الحجّاج+ النّاس

المناقشة:

قبل مناقشة الجدول السّابق سنبدأ بمناقشة الخطبة السّياسيّة ثمّ الخطبة الوعظيّة.

أولاّ: الخطبة السّياسيّة:

استخدم الحجّاج في هذه الخطبة ثمانية وثمانون إحالة، ثمانون منها ثمانون إحالة قبليّة، وثمانية منها فقط إحالة بعدية.

وقد توزّع هذا العدد من الإحالة كما يلي:

1. الإحالة إلى جمع الضّمير المخاط ب (أنتم): وقد وردت اثنان وأربعين مرّة وهذا أمر طبيعي لأنّ خطاب الحجّاج موجّه إلى من حوله من النّاس ومن أمثلة ذلك قوله: " ... إنّ الشّيطان قد استبطنكم، فحشاكم نفاقا وشقاقا وأشعركم خلافا ..." [1].

2. الإحالة إلى ضمير الغائب المفرد المذكّر(هو): حيث تكرّرت أربعا وثلاثين مرة جاءت كالآتي:

* عشرة منها كانت تحيل إلى الشّيطان الذي أفسد الأنفس وتمكّن منها وتغلغل فيها، وأشبعها نفاقا وشقاقا، ومن أمثلة ذلك قوله: "... فخالط (هو) اللّحم والدّم والعصب ثمّ أفضى (هو) إلى المخاخ والأصماخ، ثمّ ارتفع (هو)، فعشّش (هو)[2].

* ثلاثة منها كانت تحيل إلى الله سبحانه وتعالى، وهي قوله: " وظننتم أنّ الله يخذل (هو) دينه (هو) وخلافته (هو) "[3].

* وواحدة منها تحيل إلى الفشل، وهو فشل أهل العراق في الحرب، وهي قوله: "... بها كان (هو) فشلكم وتنازعكم ..."[4].

* وأربعة منها تحيل إلى الفزع الذي أصاب أهل العراق أثناء الحرب، وهو يوم الزّاوية، وهي في قوله: "لا يسأل (هو) المرء عن أخيه (هو) ، ولا يلوي الشّيخ عن بنيه (هو) "[5].

---

(1) أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب، ص293.

(2) المصدر نفسه، ص 293.

(3) المصدر نفسه، ص 294.

(4) المصدر نفسه، ص 294.

(5) المصدر نفسه، ص 294

* وأربعة منها أثناء حديثه عن الضّرب في السّيف يوم موقعة دير الجماجم وهي في قوله: " بضرب يزيل (هو)، المهام عن مقيله (هو)، ويذهل (هو)، الخليل عن خليله (هو).[1]

* وتسع إحالات منها كانت تحيل إلى حالة الخيانة والغدر التي يتميّز بها أهل العراق ومن أمثلتها: " ... إلاّ تبعتموه (هو)، وآويتموه (هو)، ونصرتموه (هو)، وزكّيتموه (هو) إلاّ كنتم أتباعه (هو) وأنصاره (هو) ..." [2].

* أمّا الإحالات الثّلاث الأخيرة فكانت عن حديثه عن أهل الشّام حيث شبّه الحجّاج نفسه بذكر النّعام وهو يدافع عن فراخه (وهم أهل الشّام)، وهي في قوله: " كالظّليم الرّامح عن فراخه (هو)، ينفي (هو) عنها المدر ، ويباعد(هو) عنها الحجر ..." [3].

3. الإحالة إلى ضمير المفرد الغائب المؤنّث (هي)، وقد تكرّرت عشر مرّات جاءت موزعة كالآتي:

* واحدة منها كانت عند حديثه عن أهل الزّاوية، وهي في قوله: "...وما يوم الزّاوية! بها(هي) كان فشلكم وتنازعكم..." [4]

* اثنتان منها كانت عند تشبيهه أهل العراق بالإبل وهي في قوله : "... إذ ولّيتم كالإبل الشّوارد إلى أوطانها (هي)، النّوازع إلى أعطانها (هي) " [5].

---

(1) أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب ، ص294.

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها..

(3) نفسه ، الصفحة نفسها.

(4) نفسه ، الصفحة نفسها.

(5) نفسه ، الصفحة نفسها.

* وواحدة منها عند حديثه عن يوم دير الجماجم وهي في قوله: "بها (هي) كانت المعارك والملاحم ..." [1].

* وواحدة أيضا عند حديثه عن المعارك والملاحم في يوم دير الجماجم وهي في قوله: "بها كانت (هي) المعارك والملاحم " [2].

* أمّا الخمس الباقية فكانت عند حديثه عن أهل الشّام وتشبيههم بفراخ النّعام وهي في قوله: "يباعد عنها (هي) الحجر، وينفي عنها هي المدر، ويكنّها (هي) من المطر ..." [3].

4. الإحالة إلى ضمير المفرد المتكلّم (أنا)، وقد وردت مرّتين في قوله: "ألستم أصحابي(أنا) بالأهواز، حيث رمتم المكر... وأنا أرميكم بطرفي (أنا)، وأنتم تتسلّلون لواذا..." [4].

5. أمّا عن وسائل الاتّساق الأخرى فنجد أنّ الحجّاج كان يكثر من استعمال أدوات العطف خاصّة منها الواو، التي تكرّرت سبعا وأربعين مرة، وبعده العطف بـــ: " أو" الذي تكرر ثماني مرّات، والعطف السّببي بالفاء أربع مرّات، شأنه شأن العطف بـــ: "ثمّ" التي تكرّرت أربع مرّات أيضا، وأخيرا العطف بـــ: " حتّى" التي وردت مرّة واحدة.

6. هذا بالإضافة إلى استخدامه أدوات المقارنة [5]، مرتين في قوله : " ولّيتم كالإبل الشّوارد إلى أوطانها، وقوله: " أنا لكم كالظّليم الرّامح عن فراخه " [6].

ثانيا: الخطبة الوعظيّة:

وردت الإحالة عامّة في الخطبة الوعظيّة سبعا وثلاثين مرّة منها، خمس وثلاثين إحالة قبليّة، واثنتان فقط إحالة بعديّة، وقد جاءت موزّعة كما يلي:

---

(1) المصدر السابق ص 294.

(2) نفسه ، الصفحة نفسها.

(3) نفسه ، ص 294، 295.

(4) نفسه 294.

(5) أدوات المقارنة سنتحدّث عنها بالتّفصيل في الصّفحات القادمة .

(6) أحمد زكي صفوت، السابق ص 294.

1. الإحالة إلى ضمير الجمع المذكّر المخاطب (أنتم)، وقد تكرّرت ثلاثة عشر مرّة، وهذا أمر طبيعيّ كما قلنا آنفا، لأنّ خطاب الحجّاج موجّه إلى من حوله من النّاس ومن أمثلة ذلك: " أيّها النّاس قد أصبحتم (أنتم) في أجل منقوص ... والموت في أعناقكم (أنتم)، والنّار بين أيديكم (أنتم)، والجنة أمامكم (أنتم)، خذوا (أنتم) من أنفسكم(أنتم) لأنفسكم (أنتم)..."[1] .

2. الإحالة إلى ضمير المفرد الغائب المذكّر(هو)، وقد وردت ستّ مرّات وقد وردت كالآتي:

* خمس منها كانت للحديث عن المواعظ والحديث عن الدّنيا وفنائها وزوالها ومنها قوله: "فكأنّ ما قد مضى من الدّنيا لم يكن (هو) ... وكلّ ما ترونه (هو) فإنّـــه (هو) ذاهـــب (هو)..."[2].

* وواحدة كانت للحديث عن الصّراط المنصوب لأهل العراق للحساب والعقاب وهي في قوله: "والصّراط منصوب (هو)" [3].

3. الإحالة إلى ضمير المفرد المؤنّث الغائب (هي)، وقد تكرّرت ستّ مرّات أيضا وقد توزّعت كما يلي:

* ثلاثة منها تحيل إلى الشّمس وهي في قوله: "هذه الشّمس التي (هي) طلعت (هي) على التبابعة والأكاسرة ثم طلعت (هي) على قبورهم "[4].

---

(1) المصدر السابق ص 301.

(2) المصدر نفسه ص 301.

(3) نفسه والصفحة نفسها.

(4) نفسه، ص 301.

اثنتان منهما تحيلان إلى جهنّم وصورتها ووصفها وهي في قوله: "تزفر (هي) وتتوقّد (هي) " [1].

* واحدة تحيل إلى آيات الله سبحانه وتعالى في قوله: "إذا ذكّروا بآيَات ربّهم لم يخرُّوا عَليها (هي) صمّا وعميانا " [2].

4. الإحالة إلى جمع المذكّر الغائب (هم) وقد وردت إحدى عشر مرّة جاءت موزّعة كالآتي:

* واحدة منها تحيل إلى الأموات وهي في قوله: "كأنّ الأموات لم يكونا (هم) أحياء " [3].

* أربعة منها تحيل إلى التّبابعة والأكاسرة حين أراد الحجّاج أن يذكّر الناس بأنّ الإنسان فان وميّت مهما كانت قوّته وماله وجبروته، وذلك في قوله: "... طلعت على التّبابعة والأكاسرة، وخزائنهم السّائرة بين خزائنهم أيديهم (هم) ..." [4].

* واثنتان منها كانت تحيل إلى أهل الجنّة وحالهم وذلك في قوله: " وأهل الجنّة يتمتّعون (هم)، في روضة يحبرون (هم) " [5].

وأربعة منها وردت أثناء دعائه بأن يكون هو ومن حوله من النّاس مؤمنين مصدّقين بآيات الله، وذلك في قوله: "... جعلني الله وإيّاكم من الذين (هم) إذا ذكّروا (هم) بآيات ربّهم (هم) لم يخرّوا (هم) عليها صمّا وعميانا " [6].

5. الإحالة إلى ضمير الجمع المتكلّم (نحن)، وقد وردت مرّة واحدة وهي في قوله: "جعلنا (نحن) الله

---

(1) نفسه والصّفحة نفسها .

(2) نفسه والصّفحة نفسها .

(3) نفسه والصّفحة نفسها .

(4) نفسه والصّفحة نفسها .

(5) نفسه والصّفحة نفسها .

(6) نفسه والصّفحة نفسها .

وإيّاكم ..." [1].

6. بالإضافة إلى الإحالة الضّميريّة القبليّة والبعديّة، هنالك الإحالة الضّميريّة الإشاريّة التي وردت ثلاث مرّات وهي في قوله: "هذه شمس عاد وثمود وقرون كثيرة بين ذلك، هذه الشّمس التي طلعت ..." [2].

7. أمّا عن وسائل الاتّساق الأخرى فنجد الشّيء نفسه بالنّسبة للخطبة الوعظيّة بحيث كان الحجّاج يكثر منها خاصّة: "الواو" التي تكرّرت عشرين مرّة، والفاء مرّة واحدة، والعطف بـــ: " ثمّ " التي تكرّرت مرّة واحدة.

8. دون إغفال أدوات المقارنة التي وردت مرّتين في قوله: "فكأنّ ما قد مضى من الدّنيا لم يكن، وكأنّ الأموات لم يكونوا أحياء" [3].

ـ ملاحظات عامّة عن المدوّنة ككلّ:

إنّ حصرنا للمدوّنة كما سبق وقد قلنا كان تلافيا لطول التّحليل خاصة أثناء عرض وسائل الرّبط التي وردت في الجدول، ثمّ مناقشتها والتّعليق عليها كما فعلنا آنفا، لكنّ هذا لا يمنع من إدلاء بعض الملاحظات عن الإحالة وتحوّل الضّمائر في خطب الحجّاج، ومنها:

1. أنّ الإحالة إلى ضمير الجمع المخاطب (أنتم) تعتبر المحور الذي تنطلق منه تحولاّت الضّمائر والإحالة في كامل خطب الحجّاج؛ ذلك لأنّ الخطاب كلّه موجّه إلى أهل العراق بصفة مباشرة؛ أي مخاطبتهم وجها لوجه، لذلك كانت الإحالة إلى الضّمير (أنتم) هي الغالبة وهي المحور والأساس.

2. كان الحجّاج في العديد من المواضع يكثر من تحويل الكلام من ضمير الجمع المخاطب (أنتم) إلى ضمير المفرد المتكلم (أنا)، خاصّة أثناء التّهديد والوعيد، كما فعل في الخطبة السّياسية الثّانية والخطبة

---

(1) المصدر السابق نفسه، ص 301.

(2) نفسه والصفحة نفسها.

(3) نفسه والصفحة نفسها.

السّياسية الثّالثة والرّابعة والخامسة [1]، ومرّة أخرى أثناء الشّتيمة والسّخرية والهجاء، كما فعل في الخطبة السّياسية التّاسعة والعاشرة والحادية عشرة والثّالثة عشرة [2]، ومرّة أخرى أثناء الوعظ والإرشاد كما فعل في الخطبة الوعظيّة الرّابعة[3].

3. وكان الحجّاج في مواضع أخرى يحوّل الكلام من الضّمير (أنتم)، إلى ضمير المفرد الغائب (هو)، وهو فعل مقصود من الحجّاج لأنّه لم يكن يقصد الغائب من أهل العراق، بل كان يقصد بذلك كل فرد من أفراد العراق حاضرا أمامه أو غائبا، مثل ما فعل في الخطبة السّياسية الخامسة [4]، وفي الخطبة الوعظيّة الخامسة والسّادسة . [5]

1- أحمد زكي صفوت ، السابق ، الصفحات : 287،288،289،290،291292.

2- نفسه ، الصفحات : 296،297،298،299.

3- نفسه الصفحة : 303.

4- نفسه ص : 292.

5- نفسه ص 302،303

1. 2 الوصل: إن غايتنا من طرق هذا الباب هي دراسة مدى تماسك البنى التّركيبية واتّساقها في خطب الحجّاج عبر ما يسمّى بالوصل، لأنّها أداة تبيّن لنا مدى نــُظُم صوغ المتتاليّات اللّسانيّة، وكيفيّة تضافر البنى والطّرق التي تتعالق بها مكونات النّص أو الخطاب [1].

ــ والوصل هو: "عطف جملة على أخرى بأحد حروف العطف، وهو واجب في ثلاثة مواضع وهي:

* إذا اختلفت الجملتان خبرا وإنشاء.

* إذا اتّفقتا خبرا وإنشاء.

* إذا قصد إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي" [2].

وبعبارة أخرى هو: "عطف الجمل بعضها على بعض أو عدم قطع النّطق عند آخر الكلمة " [3].

وقد وردت في خطب الحجّاج بن يوسف الثّقفي الكثير من أدوات الرّبط منها: الواو، الفاء، ثمّ، أو، حتّى، بل.

وتعدّ الواو من أكثر الأدوات ورودا في الخطب الحجّاج حيث تكرّرت أكثر من مائتين وأربعين مرّة، وقد ساهمت مساهمة فعّالة في بناء عناصر الخطاب بناء محكما، لأنّها تقوم بوظيفتين مهمّتين هامّتين: **أولاهما**: ربط الأجزاء، و **الثّانية**: تكثيف الخطاب عن طريق الاختزال؛ أي تلافي تهلهل الخطاب، ولو لم يكن الأمر كذلك لكان لدينا خطاب مملوء بالحشو [4]، وللوقوف على هذه الحقيقة نأخذ المثال التّالي: من الخطبة السّياسية الخامسة وهي خطبة الحجّاج بعد قدومه إلى البصرة حيث يقول: "... إنّي أنذر ثمّ لا أنظر، وأحذّر ثمّ لا أعذر، وأتوعّد ثمّ لا أعفو"، حيث من المفروض أن ترد هذه الجمل بهذا الشّكل: "... إنّي أنذر ثمّ لا أعذر، و(إنّي) أحذّر ثمّ لا أعذر، و(إنّي) أتوعّد ثمّ لا أعفو..."، فالحجّاج لجأ إلى استخدام الواو للابتعاد عن تكرار "إنّي"، بحيث ساهمت الواو في تجنّب هذا التّكرار، وساعدت على تماسك الجمل وتتابعها.

---

(1) ينظر ، حسن ناظم، البنى الأسلوبية، دراسة في أنشودة المطر للسّياب، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب (ط1)، 2002، ص145.

(2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، شرحه وعلّق عليه ووضع فهارسه: محمّد ألتونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (ط1) 2005 ، ص 153.

(3) محمد ألتونجي ، معجم علوم العربّية ، دار الجيل، ط1، 2003، ص 497.

(4) ينظر محمّد خطّابي، لسانيّات النّص، المرجع السابق، ص228 و 229.

وهناك مثال آخر تبدو فيه بوضوح قيمة "الواو" وأهميّتها في الكلام، وفي اللّغة بصفة عامّة، وهذا المثال في الخطبة السّياسية السّادسة، وهي خطبته بعد وقعة دير الجماجم حيث يقول فيها: "إنّ الشّيطان قد استبطنكم، فخالط اللّحم والدّم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشّغاف..." حيث من المفروض أن تأتي هذه الجمل بالشكل الآتي:

"إنّ الشّيطان قد استبطنكم، فخالط اللّحم، وخالط الدّم، وخالط العصب، وخالط المسامع، وخالط الأطراف، وخالط الأعضاء، وخالط الشّغاف..."، فنلاحظ أنّ الواو قد ساعدت على تجنّب تكرار الفعل (خالط)، وبالتّالي ساعدت حقيقة على تجنّب الحشو كما قلنا آنفا.

والأمثلة كثيرة على هذا المنوال في أغلب خطب الحجّاج السّياسية منها والوعظيّة، وهذا ما يتناسب مع خصائص اللّغة العربيّة ومواضعاتها المختلفة.

أمّا الرّبط بالفاء واللاّم الذي يسمّى بالعطف السّببي، فقد ورد قليلا نوعا ما مقارنة مع الواو، بحيث يتجلّى العطف السّببي أو الرّبط التّعليلي من خلال تتابع الجمل ومن خلال سياقها الذي وردت فيه، ومن أمثلة الرّبط السّببي أو العطف التّعليلي نورد المثال الآتي: من الخطبة السّياسية الثّانية وهي خطبة الحجّاج بعد قتله ابن الزّبير حيث يقول: "... لقد وطئكم الحجّاج وطأة مشفق، وعطفة رحم، ووصل قرابة، فإيّاكم أن تزلّوا عن سنن أقمناكم عليه، فأقطع عنكم ما وصلته لكم بالصّارم البتّار..." [1]، فالسّبب هنا أنّ الحجّاج جاء بالخير لأهل الحجاز، وكان عطوفا رحيما معهم وفي معاملته حسب قوله، لذلك استدعى تحذيرهم من الغدر والخيانة، وتغيير ذلك الخير إلى شرّ .

وهناك مثال آخر في الخطبة السياسية الثالثة وهي خطبته حين ولي العراق حيث يقول فيها:

قد شمّرت عن ساقها فشدّوا وجدّت بكم الحرب فجدّوا [2]

فالسّبب أنّ الحرب قد بدأت وبدأ معها العمل والجدّ ممّا استدعى الاستعداد والحزم لمواجهتها .

هذا بالإضافة إلى استخدام الحجّاج لأدوات الرّبط الأخرى التي سبق ذكرها ومنها: "ثم" التي وردت ثلاثة عشرة مرّة، زيادة على ورود: "أو" و "حتّى"، "بل" مرّات قليلة ومحدودة .

---

(1) أحمد زكي صفوت ، السّابق ، ص 287 و 288.

(2) المرجع نفسه ، ص 289.

1. 3 أدوات المقارنة: بعد حديثنا عن الإحالة والضمائر و أدوات العطف ودورها في تماسك النّص اللّغوي، سنتحدّث الآن عن عنصر آخر من عناصر الاتّساق، وهو أدوات المقارنة أو أدوات التّشبيه، التي جاءت مبثوثة في المدوّنة موضوع دراستنا، حيث استخدمها الحجّاج بطريقة عفويّة، وفي مواضع محدّدة ودقيقة، وقبل التّعرّض إلى بعض الأمثلة بالشّرح والتّعليل، سنعرّف التّشبيه أوّلا: "التّشبيه هو: "عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، لغرض توضيح هذه الصّفة لاشتهار الثّاني بها، وأركانه أربعة: المشبّه والمشبّه به، ووجه الشّبه وأداة التّشبيه، وأدواته هي: الكاف وكأنّ ومثل وشبيه ويشبه وقد تحذف الأداة وهي أنواع عديدة " [1].

وأوّل تشبيه يسترعي انتباهنا هو ذلك التّشبيه في الأبيات الشّعريّة في الخطبة السّياسية الثّالثة حيث يقول الحجاج فيها:

والقوس فيه وتَـــرٌ عُرُدّ ... مثل ذراع البكر أو أشدّ [2]

فالتّشبيه في هذا البيت اعتمد على عنصرين مختلفين هما: الوتر العردّ أيّ الشّديد الصّلب، وذراع البكر؛ أيّ ذراع الفتى من الإبل، لكن ما هي المقوّمات المشتركة بينهما؟ وما هو الجامع الخياليّ بينهما؟

إنّ تشبيه الحجّاج الوتر الشّديد بذراع الفتى من الإبل، دليل على أنّ كلّ أنواع الأوتار التي ستستخدم في الحرب ستكون صلبة شديدة مثل ذراع الفتى من الإبل، بحيث ستضاهي قسوة الحرب ككلّ، والجامع بين الوتر الشّديد وذراع الفتى من الإبل هو الشّدّة والقوّة، فقد حاول الحجّاج أن يبيّن القسوة والجبروت من خلال قسوة الأوتار التي سيستخدمها في الحرب للقضاء على الفتن المستشريّة بين أهل العراق.

أمّا الجامع الخياليّ بين الوتر الشّديد وذراع الفتى من الإبل فهو السّرعة في التّنفيذ والوصول إلى الهدف، وما جعل هذا التّشبيه بهذا السّحر، وبهذه القوّة من التّأثير هو أحد الأسباب التي ذكرها عبد القاهر الجرجاني أثناء حديثه عن روعة التّمثيل وسحره حيث يقول : " إنّ جمعه (التّمثيل) بين

---

(1) محمد التونجي ، معجم علوم العربية، ص140.

(2) أحمد زكي صفوت ، جمهرة خطب العرب ، مرجع سابق ، ص289.

المختلفين وتأليفه بين المتناقضين حتى يبرزها في سلك واحد، ترى بها الشّيئين مثلين متباينين ومتماثلين ومؤتلفين مختلفين، بحيث لا يكون للتّشبيهات جمال في أنفس السّامعين، إلاّ إذا كانت مقرّرة بين شيئين مختلفين في الجنس، وكلّما كان التّباعد بين طرفي التّشبيه أكثر كان الإعجاب به أكبر" [1].

ومثال آخر في الخطبة السّياسية السّادسة وهو قوله: "...ولّيتم كالإبل الشّوارد إلى أوطانها النّوازع إلى أعطانها..." [2]، فقد اعتمد الحجّاج في هذه الصورة على عنصرين هما: أهل العراق والإبل الشّاردة .

فأراد أن يبيّن حالة الفزع والخوف التي أحكمت في نفوس أهل العراق في يوم الحرب، وهو يوم الزّاوية، و لم يجد صورة لحالتهم تلك إلاّ صورة الإبل الشّاردة التي تبحث عن مكان تأوي إليه.

ومثال آخر في الخطبة نفسها وهو قوله: "يا أهل الشّام إنّما أنا لكم كالظّليم الرّامح عن فراخه ينفي عنها المدر" [3]، حيث اعتمد فيه على عنصرين هما: الحجّاج نفسه والظّليم الرّامح، وهو ذكر النّعام، وفي هذا التّشبيه يصوّر الحجّاج شدّة حبّه وتعلّقه بأهل الشّام، فوضع نفسه في صورة ذكر النّعام، ووضع أهل الشّام في صورة الفراخ، وهي فراخ النّعام، وبيّن كيف يدافع عنها بالرّمح، ويباعد عنها قطع الطّين اليابسة، والحجارة ويحميها من المطر والضّباب والذّئاب.

وأمثلة أخرى كثيرة منها قوله في الخطبة السياسية الثامنة: "عذيري من عبد هذيل يقرأ القرآن كأنّه رجز الأعراب ..." [4].

– وقوله في الخطبة السّياسية الرّابعة عشرة: " أن تُدال الأرض منّا كما أدلنا منها فتأكل من لحومنا وتشرب من دمائنا كما مشينا على ظهرها، وأكلنا من ثمارها وشربنا من مائها ثمّ نكون كما

---

(1) ينظر عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تحقيق محمد الفاضلي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ،(ط 2) ، 2003، ص 88 وما بعدها .

(2) أحمد زكي صفوت ، المرجع السابق ، ص 294 .

(3) المصدر نفسه ، ص 294و295 .

(4) المصدر نفسه ص 296.

قال الله تعالى: " ونُفخَ في الصّور فإذا هُم منَ الأجداث إلى ربّهم ينسلون * " [1].

- وفي الخطبة الوعظيّة الأولى قوله: "... فكأنّ ما قد مضى من الدّنيا لم يكن، وكأنّ الأموات لم يكونوا أحياء [2].

- وفي الخطبة الوعظيّة الثّانية قوله: ".. امرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرّجل بخَطام جمله ..."[3].

(*) سورة يس الآية 51.

(1) أحمد زكي صفوت، ص 299.

(2) نفسه ص 301.

(3) نفسه ص 302.

4-1 التّكرار Répétition :

يعدّ التّكرار وسيلة تعبيريّة وتقنيّة فنّية بالغة القيمة في الأثر اللّغوي بخاصّة إذا استطاع المبدع التّحكّم فيه بناءً على حاجة السّياق الهندسيّ والنّفسيّ والجمالي إليه، ومن ثمّة فإنّ العبارة المكرّرة ينبغي أن تكون من قوّة التّعبير وجماله ومن الارتباط بغيرها سيّاقيّاً بحيث تصمد أمام الرّتابة المقيتة[1]، ويعدّ التّكرار من أظهر وسائل الاتّساق وأدناها إلى الملاحظة المباشرة، وقد ارتبط في التّراث النّحوي بالتّوكيد اللفظيّ وفي التّراث البلاغيّ بالتّوكيد لنكتة: كتأكيد الإنذار أو الإيغال أو زيادة المبالغة أو غير ذلك ممّا نصّ عليه البلاغيون وأوردوا عليه الشّواهد وهو أنواع: التّكرار المحض والتّكرار الجزئي وشبه التّكرار الجزئي وشبه التّكرار ... [2]،وإذا أتينا إلى خطب الحجاج فإنّنا نجده استخدم التّكرار في أغلب خطبه وسنورده في الجدول الآتي:

التّكرار المحض	عدد تكراره	العبارات المكرّرة	تكرارها
الله	55مرّة	أيّها النّاس	05
والله	20مرّة	أهل العراق أهل الشقاق والنّفاق	02
ابن الزّبير	02	طاعة الله	02
آدم	02	ياأهل الشّام	02
الجنّة	06	أهل العراق والشّقاق والنّفاق ومساوئ الأخلاق	02
الحرب	04	ياأهل العراق	05
عصاً	03	ياأهل الكوفة	02
باب	04	معصية الله	02
يخرج	02	ستقولون بعدي	02
النّزوات	02	قد لفّها اللّيل	02
حلالا	02	يوم الزّاوية	02

(1) ينظر نعمان بوقرّة، قراءة لسانيّة نصّية في مجموعة "تراتيل الغربة" للشّاعر علي عقلة عرسان،مجلّة الموقف الأدبي عدد سنة 1900 ص62 .

(2) ينظر سعد مصلوح، نحو أجروميّة للنّص الشّعري ص157 .

كفانا	02
راحة	02
مغلول	02
أُحشر	02
المهديّون	02
مات	02
أهل	02
عذيري	03
الأمس	02
شراركم	02
رُبّ	02
إبل	03
الفرح	02
ساحر	02
القرآن	03
العلماء	02
الشّيطان	04
الزّيغ	03
الغيّ	03
الحقّ	02
الحزم	02
إيّاكم	04
عليكم	03
يتجاوز	02
يقبل	02

يوم دير الجماجم	02
يجزي الذين	02
كلّه بحذافيره	02
من يعمل مثقال ذرّة	02
ضربت عنقه	02
رسول الله صلّى الله عليه وسلّم	03
أمير المؤمنين	03
شمّرت عن ساقها	02
ثواب الله	02
هذه الشّمس	02

منكم	03
الحجاج	02
الدّنيا	09
الآخرة	05
الفناء	04
البقاء	04
الحرب	04
النّار	03
الشرّ	03
الخير	03
الفتن	02
خلافته	02
الرّجل	04
أنفسكم	02
أيديكم	03
كأنّ	02
طلعت	02
خُلقنا	02
دار	02
خطام	02
زمام	02
الصّبر	02
ربّه	03
كتب	03
الماء	02

ما نلاحظه من خلال الجدول السّابق أنّ التّكرار تجاوز مستوى الخطبة الواحدة إلى بقيّة الخطب الأخرى، وحدوثه أكثر من مرّة ممّا جعله عاملا لغويّا من عوامل تجسيد الاستمرارية في هذه الخطب، وهناك نوعان من التّكرار هما: التّكرار المحض(وهو تكرار اللّفظ بعينه) وعبارات مكرّرة .

فالتّكرار المحض تمثّل في تكرار العديد من الكلمات التي شكّلت تناسقا بين لغة هذه الخطب وجعلها تبدو وكأنّها خطبة واحدة، وأوّل هذه الكلمات وأدناها للملاحظة كما سبق وأن قلنا هو تكرار كلمة "الله" التي وردت (55 مرّة) وهذا لا يدلّ على شيء واحد وهو أنّ المهمة التي أوكلت للحجاج ابن يوسف الثقفي من طرف أمير المؤمنين- عبد المالك ابن مروان – كانت نصب عينه وهي إعادة توحيد أهل العراق تحت راية الخلافة الأموية، ووأد جميع الفتن بكل أشكالها ، لذالك كان يستعمل لفظ الجلالة "الله" في أغلب كلامه إما ترغيبا ووعظا وإما ترهيبا وتخويفا فمثلا في الترغيب قوله في الخطبة السياسية الثامنة" قال الله تعالى:"فاتقوا الله ما استطعتم" فهذه لله وفيها مثوبة ..." [1] فالحجاج في هذا المثال يذكر لفظ الجلالة "الله" ليرغّب النّاس في الطّاعة التي تورث الثّواب والنّجاة .

واللّفظة الثانية التي كررت بكثرة كذلك هي القسم الذي تكرر عشرين مرّة(20مرّة) وهذا نظنه أمرا طبيعيا لأنّ مهمّة وأد الفتن وقطع الفساد تستدعي الصّرامة في القول كما في الفعل، فكان الحجاج بن يوسف الثقفي يكثر من القسم الّذي استخدمه أغلبه في التّهديد والوعيد، وأحيانا قليلة للنصح وأحيانا أخرى للصراحة وقول الحقيقة، فمن أمثلة التّهديد والوعيد قوله في الخطبة السّياسيّة الثّالثة:" أما والله إنّي لأحمل الشّرّ بحمله وأحذوه بنعله ...وإنّي والله لا أعد إلاّ وفّيت ولا أهمّ إلاّ أمضيت، ولا أخلق إلاّ فريت..." [2] ،وقوله في الخطبة السّياسيّة الخامسة :"والله لا آمر أحدكم أن يخرج من باب من أبواب المسجد فيخرج من الباب الذي يليه، إلاّ ضربت عنقه" [3]،وقوله في الخطبة السّياسيّة الثّامنة أما والله لو أدركته لضربت عنقه..." [4]، والأمثلة كثيرة عن القسم الذي يحمل التّهديد والوعيد .

---

(1) أحمد زكي صفوت، السّابق ص295.

(2) نفسه ص 289,290 .

(3) نفسه ص292 .

(4) نفسه ص296 .

ومن أمثلة الصّراحة وقول الحقيقة قوله في الخطبة السّياسيّة العاشرة :" وما أراكم إلاّ كارهين لمقالتي وأنا والله لرؤيتكم أكره ..." [1]، وقوله في الخطبة السّياسية السّابعة :" أما والله إن أبغضتموني لا تضرّوني وإن أحببتموني لا تنفعوني وما أنا بالمستوحش لعداوتكم ولا المستريح إلى مودّتكم ..." [2].

ومن أمثلة القسم الذي يحمل النّصح والوعظ قول الحجاج في الخطبة الوعظية الثّانية :" إنّنا والله ما خلقنا للبقاء وإنّما خلقنا للفناء، وإنّما ننتقل من دار إلى دار " [3]، هذا بالإضافة على تكرار كلمات أخرى كثيرة، لكن اللافت للانتباه هو تكرار كلمات مثل: الجنّة والنّار، الدّنيا والآخرة والفناء والبقاء والخير والشّر حيث استعملها الحجاج إمّا ترغيبا وإمّا ترهيبا للتأثير على أهل العراق كما قلنا سابقا وتوحيدهم تحت راية الخلافة الأمويّة .

أمّا إذا أتينا إلى العبارات المكرّرة فاللاّفت للانتباه هو تكرار عبارات النّداء ومنها أيّها النّاس (05 مرّات) يا أهل العراق (05 مرّات) يا أهل الكوفة (02 مرّتين) يا أهل الشّام (02مرّتين) وعبارات أخرى، وهذا نراه عملا مقصودا من طرف الحجاج وهو جعل كل الأفراد معنيين بكلامه، ولإسقاط أيّ حجّة من أنّ الكلام موجّه إلى طائفة دون أخرى، وفي الأخير نرى بأنّ التّكرار سواء تكرار الكلمات أو العبارات في أغلب خطب الحجاج ساعد على المحافظة على استمرارية الخطاب ووحدته وتماسكه .

5-1 الاستبدالSubstitution :

وهو عنصر آخر من عناصر الاتساق يعمل على تماسك الخطاب بصورة تختلف عن التّكرار المحض، حيث بدل تكرار اللّفظة أو العبارة تستبدل بعنصر آخر أو قطعة لغويّة أخرى لأنّ الاستبدال هو ببساطة كما عرّفه محمّد خطّابي" عمليّة تتم داخل النص وهو تعويض عنصر في النّصّ بعنصر آخر " [4] أو هو كما عرّفه محمّد ألتونجي:" إحلال صفة أو اسم أو وظيفة أو لقب مكان اسم علم مثل استعمال كلمة الفاروق بدل عمر بن الخطّاب أو هو استعمال اسم علم للتّعبير عن فكرة عامّة نحو استخدام عبارة "عنترة زمانه" للدّلالة على القوّة والشّجاعة أو للسّخرية

---

(1) المرجع السّابق نفسه ص297 .

(2) نفسه ص295 .

(3) نفسه ص302 .

(4) محمّد خطّابي لسانيّات النّص ص19 .

دلالة على الجبن والضّعف" [1] فنلاحظ أنّ تعريف محمّد ألتونجي كان أكثر تخصيصا من تعريف محمّد خطّابي .

أمّا عن الاستبدال في خطب الحجاج فقد لجأ إليه في كثير من المواضع نوردها في الجدول الآتي :

عمليّة الاستبدال	العنصر المستبدل
أخو الحرب	الحجّاج بن يوسف الثّقفي
ابن جلا	الحجّاج
سوّاق حطم	الحجّاج
عصلبيّ أروع خرّاج من الدّويّ	الحجّاج
مهاجر ليس بأعرابي	الحجّاج
معدن الشّقاق والنّفاق	أهل العراق
أمرّها عودا	الحجّاج
ياأهل الشّقاق والنّفاق ومساوئ الأخلاق	أهل العراق
بني اللكيعة	أهل العراق
عبيد العصا	أهل العراق
أولاد الإماء والفقع بالقرقر	أهل العراق
صارما	السّيف
دليلا	الشّيطان
قائدا	الشّيطان
مؤامرا	الشّيطان
الإبل الشّاردة	أهل العراق
الكفرات بعد الفجرات	أهل العراق
الغدرات بعد الخترات	أهل العراق
النّزوات بعد التروات	أهل العراق

(1) محمّد ألتونجي، معجم علوم العربيّة ص34 .

الظّليم الرّمح	الحجّاج
الجُنّة والرّداء	أهل الشّام
العُدّة والحذاء	أهل الشّام
أمير المؤمنين	عبد الملك بن مروان
عبد الله	عبد الملك بن مروان
خليفة الله	عبد الملك بن مروان
حبيب الله	عبد الملك بن مروان
عبد هذيل	عبد الله بن مسعود
عبدا حسودا بخيلا	سليمان بن داود

فنلاحظ من خلال الجدول أنّ الحجّاج بن يوسف الثّقفي كان يستخدم الاستبدال في الكثير من المرّات كما ذكرنا آنفا إمّا لتبيين صفة أو للسّخرية أو للهجاء والاستهتار، فلتبيين صفة هناك أمثلة عديدة منها قوله عن نفسه في الخطبة السّياسيّة الثّالثة:

أنا ابن جلا وطلاّع الثّنـــايا متى أضع العمامة تعرفـــوني [1]

وقوله كذلك: هذا أوان الشّدّ فاشتدّي زيم [2] قد لفّها اللّيل بسوّق حطم [3]

قـــد لفّها اللّيل بعصـــلبيّ أروع خرّج مـــن الـــدّويّ

مهاجر ليس بأعرابيّ [4]

وقوله كذلك في أهل العراق في الخطبة السّياسية الرّابعة: "ياأهل العراق ياأهل الشّقاق والنّفاق ومساوئ الأخلاق..." [5].

أمّا عن أمثلة الهجاء والسّخرية والاستهزاء فنجده مثلا واضحا في قوله في الخطبة السّياسيّة

---

(1) أحمد زكي صفوت السّابق ص288 .

(2) زيم : اسم فرس أو ناقة وقيل اسم لحرب .

(3) الحطم والحطمة هو الرّاعي الظّلوم للماشية يهشم بعضها بعضا .

(4) أحمد زكي صفوت ، السّابق ص289 .

(5) نفسه ص290 .

الرّابعة: "...بني اللّكيعة وعبيد العصا وأولاد الإماء والفقع بالقرقر [1] " [2] وهو هجاء مقذع لأهل العراق، إضافة إلى الاستبدال الذي يفهم منه الهجاء هناك استبدال للفخر والتّمجيد مثل كلام الحجاج عن الخليفة عبد الملك بن مروان في الخطبة السّياسية الثّامنة :" وهذه لعبد الله وخليفة الله وحبيب الله عبد الملك بن مروان" [3] ، وقوله كذلك لأهل الشّام في الخطبة السّياسية السّادسة:" أنتم الجُنّة والرّداء وأنتم العُدّة والحذاء" [4] ،فكل هذه العبارات والكلمات المستبدلة شكّلت تناسقا داخل الخطبة الواحدة وبين الخطب ككل ساعدت على ارتباطها بعضها ببعض .

6-1 الحذفILLIPSIS :

جاء في مختار الصّحاح :"حذف الشّيء إسقاطه...وحذف رأسه بالسّيف إذا ضربه فقطع منه قطعة..." [5]، وهو كعلاقة اتّساق لا يختلف عن الاستبدال إلاّ بكون الأوّل استبدال بالصّفر أي أنّ علاقة الاستبدال تترك أثرا وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لا تخلّف أثرا، ولا يحلّ محلّ المحذوف أي شيء، ومن ثمّ نجد في الجملة الثّانية فراغا بنيويا يهتدي القارئ إلى ملئه اعتمادا على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق [6]، إذن فهو كما قال سعد سعد مصلوح: تكرار المبنى مع إسقاط بعض عناصر التعبير [7]، وقد لجأ إليه الحجّاج بن يوسف الثّقفي في العديد من المواضع يلمسها القارئ ويحسّها عند القراءة الأولى لخطبه مثل حذفه للفعل في المثال الآتي وهو من الخطبة السياسية السادسة حيث يقول: "اتّخذتموه دليلا تتّبعونه وقائدا تطيعونه ومؤامرا تستشيرونه" [8]، فقد حذف الحجّاج الفعل "اتّخذتموه" من الجملة الثّانية والثّالثة لأنّ المقصود هو "... واتّخذتموه قائدا تطيعونه، واتّخذتموه مؤامرا تستشيرونه"، وقوله كذلك في الخطبة

---

(1) القرقر هي أرض لينة، والفقع ويكسر : البيضاء الرّخوة من الكمأة ، ويقال للذليل: هو أذلّ من فقع بقرقر لأنه لا يمتنع على من اجتناه ، أو لأنه يوطأ بالأرجل .

(2) أحمد زكي صفوت السابق ص290 .

(3) نفسه ص298 .

(4) نفسه ص 295 .

(5) محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح ، دار الكتاب العربي (ط1) 1994 ص21 .

(6) ينظر محمد خطابي، لسانيات النص ص21 .

(7) ينظر سعد عبد العزيز مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري ص159 .

(8) أحمد زكي صفوت السابق ص293 .

السّياسيّة الثّالثة: "إنّي لأرى أبصارا طامحة وأعناقا متطاولة ورؤوسا قد أينعت وحان قطافها" [1]، حيث حذف الفعل أرى من الجملة الثّانية والثّالثة.

وإلى جانب حذف الفعل كان الحجّاج في العديد من المواضع يلجأ إلى حذف الفاعل مثل قوله في الخطبة السّياسية الثّانية عشرة: "...فاختار الله له ما عنده وألحقه بهم، وعهد إلى شبهه في المروءة والحزم..." [2]، فالحجّاج حذف الفاعل في هذا المثال وهو "الله" سبحانه وتعالى وذلك لعلم لعلم المخاطبين به، وعلم المخاطبين بالمحذوف هو التّبرير الذي قدّمه النّحاة لكنّ المبرّد أورد "علم المخاطَبين" مقترنا بأمر آخر وهو "تشديد الأمر" وهي إضافة لا تجعل من المقام مجرّد وعاء مساعدا يجد فيه الخاطب ما غاب من اللّفظ، لأنّ المتكلّم استغنى عن ذكره لشهادة الحال عليه، بل تجعل منه عنصرا يمكن أن يوجّه الكلام إلى معان عديدة كالوعيد والتّهديد وغيرها من المعاني [3].

1-7 التّوازي Parallelism :

التّوازي هو عنصر آخر من عناصر الاتّساق ذو أهميّة كبيرة — على غرار العناصر الأخرى— يساهم في تماسك الخطاب إضافة إلى أهميته الجمالية حيث يضفي نوعا من التّناغم بين التّراكيب والجمل المشكّلة للخطاب، لأنّه ببساطة نوع من التّكرار ولكنّه ينصرف إلى تكرار المباني مع اختلاف العناصر التي يتحقّق فيها المبنى [4]، وقد أطلق عليه الخطيب القزويني اسم "الموازنة" وعرّفها بقوله: "هي تساوي الفاصلتين في الوزن دون التّقفية" [5]، ومثّل لها بقوله تعالى :" وَنَمَارِقُ وَنَمَارِقُ مَصفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبثُوثَةٌ" [6]، وقد كانت خطب الحجّاج حافلة بهذا النّوع من التّكرار وسنظهره في الجدول الآتي:

---

(1) أحمد زكي صفوت، السابق ص289 .

(2) نفسه ص298.

(3) ينظر محمد الشاوش أصول تحليل الخطاب،المجلد 02 ص1166 .

(4) ينظر سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري ص159 .

(5) جلال الدين محمد بن عبد الرحمان الشافعي الدمشقي المعروف بالخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة وهو تلخيص كتاب "مفتاح العلوم" للسكاكي، حققه وشرحه وأعدّ فهارسه: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان (ط1) 1997 ص107 .

(6) سورة الغاشية {15و16}.

الجمل المتوازيّة في خطب الحجّاج بن يوسف الثّقفي
ظلمة الجور// طخية الباطل
أحذوه بنعله // أجزيه بمثله
ألحونّكم لحو العصا//أقرعنكم قرع المروة//أعصبنكم عصب السلمة//أضربنكم ضرب غرائب الإبل
سفكت دمه// أنهبت ماله// هدّمت منزله
ياأهل العراق// ياأهل الشقاق
للسّلطان سيفا // للشّيطان طيفا
سقمت سريرته // صحّت عقوبته
أنذر ثمّ لا أنظر // أحذّر ثمّ لا أعذر
دليلا تتّبعونه // قائدا تطيعونه // مؤامرا تستشيرونه
الشّوارد إلى أوطانها // النّوازع إلى أعطانها
لا يسأل المرء عن أخيه // لا يلوى الشيخ عن بنيه
يزيل الهام عن مقيله // يذهل الخليل عن خليله
لا تذكرون حسنة // لا تشكرون نعمة
استخفّكم ناكث //استغواكم غاو // استنصركم ظالم // استعضدكم خالع
تبعتموه // نصرتموه
آويتموه // زكّيتموه
شغب شاغب // نعب ناعب // زفر زافر
ينفي عنها المدر // يباعد عنها الحجر
يحميها من الضّباب // يحرسها من الذّئاب
الجُنّة والرّداء // العدّة والحذاء
تلقح بالنّجوى // تنتج بالشّكوى // تحصد بالسّيف
إن أبغضتموني لا تضرّوني // إن أحببتموني لا تنفعوني
لأزواجكم أطيب // لأبناؤكم آنس

كالرّسم الدّاثر// كالأمس الغابر
اللّين لأهل الحق // الوطء لأهل الزيغ
تأكل من لحومنا // تشرب من دمائنا
أكلنا من ثمارها // شربنا من مائها
عزائي نبي الله // حسبي ثواب الله
بكل حي ميتا // بكل رطب يابسا
أجل منقوص // عمل محفوظ
امرؤ حاسب نفسه // امرؤ راقب ربه
خلقنا للبقاء // خلقنا للفناء
على الدنيا الفناء // على الآخرة البقاء
لا بقاء لما كتب عليه الفناء // لا فناء لما كتب عليه البقاء
شاهد الدنيا // غائب الآخرة

إذا تأمّلنا هذا الجدول فإنّنا سنجد أنّ هناك توازيّا تامّا وتوازيّا جزئيّا، فالتّوازي التّام هو توازي الفاصلتين في جميع العناصر اللّغوية إضافة إلى ورودها على وزن واحد تماما، ومن أمثلة ذلك قول الحجّاج في الخطبة السّياسية الخامسة: "ومن وضعه ذنبه رفعه صلبه" [1] حيث يقابل الفعل فعلا آخر والاسم يقابله اسما مع نفس الوزن والشّكل، وكذلك قوله في الخطبة السياسية السادسة:"إذ ولّيتم كالإبل الشّوارد إلى أوطانها، النّوازع إلى أعطانها" [2]، فالاسم يقابل اسما وحرف الجر يقابله نفس حرف الجر والاسم الثاني يقابله اسما آخر، والشّكل متماثل تماما حيث الشّدّة توازيها شدّة أخرى والفتحة توازيها فتحة أخرى والكسرة كذلك.

وهناك أمثلة أخرى تذكر منها قول الحجّاج "هل شغب شاغب أو نعب ناعب أو زفر زافر" [3] وقوله كذلك لأهل الشام في الخطبة السياسية السادسة :" أنتم الجُنة والرداء وأنتم العدة والحذاء"[4].

---

(1) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب ص292 .

(2) نفسه ص294 .

(3) نفسه ص294 .

(4) نفسه ص295 .

أمّا التّوازي الجزئي فنقصد به التّطابق التّام في كلّ عناصر البناء النّحوي للجمل المتوازية توازيا تامّا ما عدا عنصر أو عنصرين من عناصر البناء وذلك إمّا بالحذف أو بالزّيادة أو الاستبدا ل بين الجملتين المتوازيتين [1]، ومن أمثلة التوازي الجزئي في خطب الحجاج نذكر قوله في الخطبة السياسية السادسة :" اتّخذتموه دليلا تتبعونه وقائدا تطيعونه..." [2] حيث وقع التوازي بين الجملتين ولكن في الجملة الثانية هناك حذف للفعل "اتخذتموه"، وقوله كذلك في نفس الخطبة:" إلاّ كنتم أتباعه وأنصاره " [3] فالجملتان متوازيتان لكن هناك حذف للفعل "كنتم" في الجملة الثانية، وهناك أمثلة عديدة لهذا النوع من التوازي أيضا حيث أضفت على الخطب ككل تماسكا شديدا خاصة من الناحية الشكلية .

02 . الانسجام coherence:

إنّ محاولة سبر أغوار نص أو خطاب ما، لا ولن تتجلّى أبدا من خلال مجموعة من القواعد والإجراءات التي بها نحلّل الأنساق اللّغوية الشّكلية للنّص وبنيته الظّاهرة، لكن هذا لا يعني أن لا قيمة لهذه القواعد والإجراءات في محور عملية الإنتاج النصية، وإنّما تقوم بتحقيق الصّيرورة النصية بوجود عناصر أخرى، فإذا كان الاتساق كما رأينا يعنى بالظواهر اللغوية المشكلة لسطح نص أو خطاب معين، فإنّ الانسجام كما سبق وأن قلنا يختص بالاستمرارية في عالم النص والعلاقات

---

(1) ينظر محمود محمد سليمان الجعيدي، الجمل المتوازية في ديوان أبي القاسم الشابي "دراسة نحوية نصّية" المؤتمر الثاني للغة والأدب 16و17 يوليو 2003 23 .

(2) أحمد زكي صفوت السابق ص293 .

(3) نفسه ص 294 .

الرابطة بين هذه المفاهيم، فهو " خاصيّة دلاليّة للخطاب تعتمد على فهم كلّ جملة مكوّنة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى" [1] .

والاستمراريّة في عالم النّص تعني الاستمراريّة الدّلاليّة التي تتجلّى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بينها، وتحتاج هده العلاقات من القارئ جهدا في التفسير والتأويل واستخدام ما في ذهنه من معلومات عن العالم، من خلال التجارب السّابقة والمعرفة الخلفيّة عن العالم وأهدافه الشّخصيّة، لأنّ القارئ حين يواجه خطابا أو نصّا ما يواجهه بتجاربه السابقة ومعلوماته، فالمعلومات التي يملكها عن العالم هي أساس الفهم ليس للخطاب أو النص فقط، بل لكل جوانب حياته، يقول دوبوغراند: "إن مسألة كيفية معرفة الناس بما يجري داخل نص هي حالة خاصة من مسألة كيفيّة معرفة الناس بما يجري في العالم بأسره" [2] .

وبما أن الانسجام يتطلب من المتلقي صرف النظر جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده فإننا سنحاول دراسة وظائف الخطاب التي وظفها "الحجاج بن يوسف الثقفي" في خطبه .

2. 1. **الوصف**Description:قال ابن رشيق القيرواني:"أبلغ الوصف ما قلب السمع بصرا،وأصل الوصف الكشف والإظهار يقال:قد وصف الثوب الجسم إذا نم عليه و لم يستره..."[3]وقد كان الحجاج بن يوسف الثقفي مصورا بارعا واقفا على هذا المعنى للوصف حتّى استحالت العديد من المقاطع اللغوية والفقرات إلى مشاهد حقيقية ترى بالعين في خطبه زادت من

---

(1) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص ص340و341 .

(2) براون ويول، تحليل الخطاب ص 279 .

(3) أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان،مكتبة الخانجي القاهرة (ط1) ج1، 2000 ص20 .

التلاحم الدلالي وساعـــدت على انسياب المعاني انسيابا ووضوح القصد والمراد وضوحا لا غبار عليه،فالوصف هو الذي يتكفل بتأطير الأحداث وهو الذي يأخذ على عاتقه رسم أجوائها،وبعبارة أخرى إن الوصف عملية تهيئ الدّيكور اللازم للحدث، فالمعنى يبقى قاصرا في بعض الأحيان ويكون محدودا إذا تجردت الأفعال والحركات – وكذا الشخصيات – من الصفات و المؤهلات فهو نقل العالم الخارجي والعلم الداخلي من خلال الألفاظ والعبارات والتشابيه والاستعارات التي تقوم لدى الأديب مقام الألوان لدى الرسام والنغم لدى الموسيقي [1].

وكأن الحجاج أدرك هذه القيمة للوصف فراح في كل مرة يعرض فكرة ما يصفها وصفا بليغا يؤدي المعنى ويوصله إلى أهل العراق على أكمل وجه، والأمثلة كثيرة جدا ومنها :

أ- **وصف الحجاج بن يوسف الثقفي لنفسه** : حيث يقول في الخطبة السياسية الثالثة في الأبيات الشعرية: هذا أوان الشد فاشتدي زيم قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعي إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم

قد لفها الليل بعصلبي أروع خراج من الدوي

مهاجر ليس بأعرابي [2]

فالحجّاج في هذه الأبيات يصوّر نفسه سائقا حطما ليس بجزّار ولا براع ليرحم الإبل بل يسوقها أمامه من دون شفقة ولا رحمة يضربها ضربا يهشّم أضلاعها وأعضاءها،ولعّل استخدام الحجّاج لهذه الصّورة وهذا الوصف لنفسه يريد أن يوصل به فكرة وهي أنّ أهل العراق لن ينتظروا منه أيّة معاملة طيّبة أو شفقة بل ستكون القسوة والقتل وسفك الدّماء في انتظارهم .

ولعلّ الوصف الثّاني لنفسه الذي يدلّ على قسوته ومرارة تعامله مع أهل العراق هو قوله في نفس الخطبة:"وإنّ أمير المؤمنين – أطال الله بقاءه – نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها، فوجدني أمرّها عودا، وأصلبها مكسرا فرماكم بي" [3]، فقد صوّر نفسه سهما من سهام أمير المؤمنين الذي نثر كنانته ليعرف أي السّهام أصلبها فوجده هو نفسه فرمى به أهل العراق أي ولاه عليهم ليسيطر عليهم بقوّته وصلابته ويوحّدهم تحت راية الخلافة الأمويّة،وهل هناك صورة أبلغ من هذه تصـــوّر

---

(1) ينظر: إبراهيم صحراوي،تحليل الخطاب الأدبي ص101و102 .

(2)أحمد زكي صفوت،جمهرة خطب العرب، ص289 .

(3)المرجع السابق نفسه ص290 .

ما ينتظر أهل العراق من بطش وفتك وقسوة وتقتيل .

ب – **وصفه أهل العراق**:لقد أطنب الحجّاج في وصف أهل العراق كثيرا، كيف لا وهوجاء واليا عليهم ليعيد الميّاه إلى مجاريها ويقطع دابر الفتن المستشرية عندهم، فكان وصفه لهم في الأغلب وصفا لحالتهم النّفسيّة المليئة بالفتنة والخديعة والمكر، حيث نجده مثلا يقول في الخطبة السّياسيّة الثّالثة:"يا أهل العراق، ومعدن الشّقاق والنّفاق ومساوئ الأخلاق" [1] وقوله كذلك في الخطبة السّياسيّة الرّابعة "يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق وبني اللّكيعة وعبيد

العصا وأولاد الإماء والفقع بالقرقر" [2] أما أبلغ وصف لحالتهم النفسية المتعفنة فهي ما قاله في الخطبة السياسية السادس :" يا أهل العراق إن الشيطان قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف ثم أفضى إلى المخاخ والأصماخ ثم ارتفع فعشش ثم باض وفرّخ فحشاكم شقاقا ونفاقا وأشعركم خلافا، اتخذتموه خليلا تتبعونه وقائدا تطيعونه ومؤامرا تستشيرونه..." [3] فلا يوجد أبلغ من هذا الوصف لقوم سيطرت عليهم وعلى عقولهم الفتن حيث عني الحجاج بإظهار مفاسد العراقيين متوسلا بتفصيل المعاني وتجزيئها والغلو فيها بفضيلة اللفظ فضلا عن روح الأسلوب وطبيعته، فقد حشد الألفاظ حشدا نفسيا وفنيا حتى لنحسب أنّ الشرّ قد تسرب إلى كل ذرة من ذرات كيانهم وأنه دخل في طباعهم ونفوسهم" [4].

والأمثلة كثيرة تصف أهل العراق وحالتهم النفسية منها قوله كذلك في نفس الخطبة السابقة:"...ثم يوم الزاوية وما أدراك ما يوم الزاوية بها كان فشلكم وتنازعكم وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص وليكم عنكم، إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها النوازع إلى أعطانها لا يسأل المرء عن أخيه ولا يلوى الشيخ عن بنيه ..." [5]،وأيضا قوله:"يا أهل العراق والكفرات بعد الفجرات والغدرات بعد الختارات والتروات بعد التروات" [6].

---

(1) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب ص290 .

(2) نفسه ص291 .

(3) نفسه ص293 .

(4) ينظر: إليا حاوي، فن الخطابة وتطوره عند العرب، ص281 .

(5) أحمد زكي صفوت، السابق ص294 .

(6) نفسه والصفحة نفسها .

ج- **وصف الحرب:** يقول الحجاج في وصف الحرب في الخطبة السياسية الثالثة :

قد شمّرت عن ساقها فشدّوا وجدّت بكم الحر فجدّوا

والقوس فيها وتر عـــــردّ مثل ذراع البكر أو أشدّ

لابدّ ممّ ليس منه بدّ [1]

حيث يصف الحرب وكأنّها امرأة تشمر عن ساقها استعدادا للقيام بعمل ما وهذا الوصف يريد الحجاج أن يوصل به فكرة وهي أن أهل العراق تنتظرهم أيام سوداء لا يهنؤون فيها أبدا ما دام

أصبح واليا عليهم، فهو سيحاربهم ليقطع الفتن المستشرية وسيحاربون معه رغما عنهم كل من خرج عن طاعة الخلافة الأموية .

د- **وصف الدنيا والآخرة:** يقول الحجاج في وصف الدنيا والآخرة في الخطبة السياسية التاسعة :" ألا وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البرّ والفاجر، ألا وإنّ الدنيا أجل مستأخر يحكم فيها ملك قادر..." [2] فقد وصف الحجاج الدينا بأنها شيء عارض أو طارئ وهو دلالة على سرعة قدوم الدنيا وسرعة زوالها كما أن الدنيا يأكل فيها المحسن والفاجر، وفي المقابل فالآخرة هي زمن مستأخر يكون فيها الحكم لله الواحد فقط .

---

(1)المرجع السابق نفسه، ص289 .

(2)نفسه، ص296 .

2-2- **السّرد** Narration : إنّ السّرد هو مجموع الكلام الذي يؤلف نصا يتيح للكاتب الاتصال بالقارئ، والناص أو المتكلم حين يرسم معمارية نصه السردي يصب فيه كل ما أوتي من عاطفة وثقافة وفلسفة وإيديولوجيا مقدما ذلك في أعلى صورة ممكنة لديه من التوصيل والتبليغ، وكما هو معلوم فالنص السردي (نص أو خطاب، قصة، رواية ...) يقوم على ثوابت لا تتغير منها: وجود الشخصية والزمن والحيز واللغة، فهذه ثوابت لا تتغير وإنما التغير يقع في طريقة التشكيل السردي بين مبدع وآخر[1] .

فإذا أتينا مثلا لدراسة البنى السردية عند الحجاج بن يوسف الثقفي في خطبه وجدنا أنه ينوع منها بحسب الحاجة والمقام اللغوي لذلك فمنها:

أ- **البنية السّرديّة التّهديديّة** : إنّ قراءة سريعة لخطب الحجاج بن يوسف الثقفي نجد أن الغالب عليها هو التهديد والترهيب فهناك الكثير من المقاطع والفقرات بكاملها دالة على ذلك نذكر منها قوله في الخطبة السياسية الثانية "فإياكم أن تزلوا عن سنن أقمناكم عليه فأقطع عنكم ما وصلته لكم بالصارم البتار، وأقيم من أودكم ما يقيم المثقف من أود القناة بالنار..." [2] فالحجاج يحذر أهل الحجاز من أن يبدلوا الخير بالشر، فهو جاء ليشفق عليهم ويصل الرحم، لكن الزلل والحياد عن الطريق سيجعله يشهر سيف الصرامة والحرب ليقطع كل من حاد عن الطريق الصحيح، وقوله كذلك في الخطبة السياسية الثالثة:"أما والله لتستقيمنّ على طريق الحق أو لأدعنّ لكل رجل منكم شغلا في جسده ..." [3] وقوله كذلك في الخطبة السياسية الرابعة " أما والله لاتقرع عصا عصا إلاّ جعلتها كالأمس الدابر" [4] .

وهناك أمثلة كثيرة جدا يظهر فيها بوضوح التهديد والوعيد وخير دليل على ذلك هو أن الخطبة السياسية الخامسة بكاملها عبارة عن تهديد ووعيد والتي ابتدأها بقوله :" أيها الناس من أعياه داؤه" وأكملها بقوله:" إلاّ ضربت عنقه" [5] .

---

(1) ينظر عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي" معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق " ديوان المطبوعات الجامعية (دط) 1995 ص10و12 .

(2)أحمد زكي صفوت، المرجع السابق ص287و288 .

(3)نفسه ص291 .

(4)نفسه ص292 .

(5)نفسه والصفحة نفسها .

ب- **البنية السّرديّة الدّمويّة** : في هذه البنية السردية يظهر لنا الحجاج أكثر استعمالا لكلمات وعبارات بل وفقرات بكاملها تحمل الكثير من الشحنات الدموية، كالقتل وسفك الدماء والعبث بمصير الناس حيث تتجلى بصورة واضحة نفسية الحجاج المتعطّش للدماء وزهق الأرواح، ومن أمثلتها قوله في الخطبة السّياسية الثالثة :"...وإني لأرى أبصارا طامحة وأعناقا متطاولة ورؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى تترقرق" [1]، فلا

---

(1) أحمد زكي صفوت،السّابق ص289.

توجد أية عبثية بالنفس البشرية تجعل من رؤوس الناس كأنها ثمار أينعت وحان قطافها إضافة إلى تخيله للدماء تترقرق بين العمائم واللحى وهي كناية عن ضرب الأعناق بالسيف،وقوله كذلك في نفس الخطبة "أما والله لألحوّنكم لحو العصا، ولأقرعنّكم قرع المروة، ولأعصبنّكم عصب السّلمة ولأضربنّكم ضرب غرائب الإبل..." [1] فهذه العبارات المتوالية توحي بالبطش وسفك الدّماء والفتك، بحيث تصوّر الحجاج وهو يزيل الجلد عن أجساد أهل العراق كما تزال القشرة عن العصا، فهل يوجد منظر دمويّ تقشعرّ له الأبدان أكثر من هذا المنظر؟؟.

ج- **البنية السّردية الهجائيّة** :كما وردت في خطب الحجاج كذلك بعض العبارات وبعض الفقرات تحمل هجاءً وشتيمة واحتقارا لأهل العراق منها ما كان يكرّره في أغلب خطبه وهو قوله:"يا أهل العراق يا أهل الشّقاق والنّفاق ومساوئ الأخلاق" وقد زاد عليها في الخطبة السّياسيّة الرّابعة "...وبني اللكيعة وعبيد العصا وأولاد الإماء والفقع بالقرقر" [2]وقوله كذلك في الخطبة السّياسيّة السّادسة "يا أهل العراق والكفرات بعد الفجرات والغدرات بعد الخترات والنّزوات بعد النّزوات،إن بعثتكم إلى ثغوركم غللتم وخنتم وإن أمنتم أرجفتم وإن خفتم نافقتم...إلى غاية قوله هل شغب شاغب أو نعب ناعب أو زفر زافر إلاّ كنتم أتباعه وأنصاره"[3] .

د- **البنية السّرديّة التّفسيريّة** : وردت العديد من البنى السّردية في خطب الحجاج كان يبيّن من خلالها أمرا سابقا من أثناء إلقائه لخطبه مثل قوله في الخطبة السّياسيّة الثّانية عشر :"ومات الخلفاء الرّاشدون المهتدون، منهم أبو بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان الشّهيد المظلوم ثمّ تبعهم معاوية ثمّ وليّكم البازل الذّكر..." [4]فقد كان بإمكان الحجاج الاكتفاء بذكر عبارة "الخلفاء الرّاشدون المهتدون" لكنّه أراد أن يزيد ويفسّر ويوضّح أكثر بذكره أسماء هؤلاء الخلفاء بالتّفصيل وقوله كذلك في الخطبة السّياسيّة الثّالثة عشر:" وأوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الأنصار، إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أوصى أن يقبل من محسنهم وأن يتجاوز عن مسيئهم، وإنّي أمرته ألاّ يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم" [5]فبعد أن أخبر الحجاج أهل

---

(2) نفسه ص290 .

(3) نفسه ص291 .

(4) نفسه ص294 .

(1) أحمد زكي صفوت، السابق ص298 .

(2) نفسه ص298و299 .

العراق أنّه أوصى فيهم ابنه بخلاف ما أوصى به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الأنصار قام بتفسير وتبيين هذه الوصيّة بالتّفصيل، وقوله كذلك في نفس الخطبة :" ألا وإنّكم ستقولون بعدي مقالة ما يمنعكم من إظهارها إلاّ مخافتي: ألا وإنّكم ستقولون بعدي: لا أحسن الله له الصّحابة" [1]، فبعد أن أقر الحجاج لأهل العراق أنّه يعلم مقولتهم بعد سفره قام وبيّن لهم هذه المقولة .

ه ــ- **البنية السّرديّة الوعظيّة** : كما نال الوعظ أيضا نصيبه من كلام الحجاج وخطبه حيث كان يستعمل العديد من العبارات والجمل الوعظيّة ومنها قوله في الخطبة السّياسيّة الخامسة عشر:" كأنّي والله بكلّ حيّ منكم ميّتا وبكلّ رطب يابسا، ونقل في أكفانه إلى ثلاثة أذرع طولا في ذراع عرضا وأكلت الأرض لحمه ومصّت صديده وانصرف الحبيب من ولده يقسم الخبيث من ماله، إنّ الذين يعقلون يعلمون ما أقول" [2] ، وقوله كذلك في الخطبة الوعظيّة الأولى :"أيّها الناس قد أصبحتم في أجل منقوص وعمل محفوظ ربّ دائب مضيع وساع لغيره، والموت في أعناقكم والنّار بين أيديكم والجنّة أمامكم، خذوا من أنفسكم لأنفسكم، ومن غناكم لفقركم..." [3]،وكذلك ما احتوته بقيّة الخطب الوعظيّة الأربعة[4].

إنّ دراستنا للبنى السّرديّة في خطب الحجاج ليست لغاية الدّراسة فقط وإنّما كان الغرض منها هو الوصول إلى كيفيّة التّرابط الدّاخلي للجمل وتسلسلها وهذا ما يولّد الانسجام الدّلالي في خطب الحجاج بن يوسف الثّقفي فلا تظهر البنية السّرديّة التهديدية والدّمويّة والتّفسيرية والوعظية ... إلاّ من خلال توالي الجمل وتلاحقها وليس من جملة واحدة معزولة عن الجمل الأخرى .

وعلى ما يبدو فقد كانت خطب الحجاج من خلال هذه البنى السّرديّة على قدر كبير من الانسجام لأنّ الجمل تضافرت كلّها لإظهار المعنى المطلوب والقصد في أحسن صورة .

---

(3) نفسه ص299 .

(4) نفسه ص300 .

(5) نفسه ص301 .

(6) نفسه ص302و303 .

الخـــلاصـــة

خصّصنا الفصل الأوّل من هذا البحث للوقوف على الوحدة النّصيّة في خطب الحجاج من خلال ما توفّره اللسانيات النّصيّة من إجراءات وبالضّبط عنصريّ الاتساق والانسجام، حيث درسنا وسائل الاتساق في خطب الحجاج وهي: الإحالة والوصل وأدوات المقارنة والتّكرار و الاستبدال والحذف والتّوازي، ورأينا كيف ساهمت إلى حدّ كبير في تماسك الخطب واتّساقها من النّاحية الشّكلية جعلتها وكأنّها خطبة واحدة لكن هذا غير كاف فجاءت دراستنا للانسجام من خلال مظهري الوصف والسّرد لتبيّن لنا مدى التّعالق بين جمل الخطب وتلاحمها باعتبار أنّ الوصف

والسّرد لا يظهر في كلمة واحدة أو جملة واحدة بل في عدّة جمل متلاحقة ومتلاحمة لتشكّل صورة دلالية واحدة .

لكن هذا كلّه لا يكفي لأنّ الدراسة تظلّ قاصرة إذا لم تتناول الخطب من جميع نواحيها وخاصّة منها الجانب التّداولي السّيّاقي لها، وهذا ما سنقف عليه في الفصل الموّالي.

الفصل الثاني

التشكيل السياقي للمدونة

مقدّمة:

كان للسياق ولا زال أهمية كبيرة في الدراسات اللغوية، خاصة منها ما تعلّق بالمعنى اللّغوي وتحديده، وتتجلّى أهميّته فيما تركه العلماء العرب في دراساتهم اللّغوية حيث نجد أنّ نظرية النّظم عند الجرجاني خير دليل على معرفة العرب للسّياق اللّغويّ ومدى أهميّته، حيث نجده يقول: " اعلم أن ليس النّظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهِجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسِمت لك فلا تخلّ بشيء منها "[1]، هذا دون إغفال ما قدّمه سيبويه والمبرّد وابن جنّي والجاحظ وغيرهم [2]. أما عند الغرب فقد ازداد الاهتمام بالسياق اللغوي منذ ظهور نظرية الإنجليزي فيرث (Firth) التي تسمّى: النظرية السّياقيّة[3]، حيث أثارت الكثير من النّقاشات أضفت ثراء على الدّراسات اللّسانية الحديثة، فالعلامة اللّغوية عند أصحاب هذا الاتّجاه، وهذه النّظرية لا ينكشف معناها إلاّ باستعمالها في اللغة أو بالطّريقة التي تستعمل بها أو الدّور الذي تؤدّيه، ويرون أنّ هذا المعنى لا ينكشف إلاّ من خلال تسييق الوحدة اللغوية؛ أي وصفها في سياقات مختلفة مثل: كلمة **دم** في: دمه بارد، دمه يغلي، ما عنده دم، برتقال بدمه، برتقال دمويّ، دم أحمر،... [4]، فالمعنى المعجميّ يظلّ قاصرا عن تحديد مدلول الكلمة الذي يظل مرتبطا بالموقف الذي وردت فيه تلك الوحدة اللغوية أو الكلمة [5]، ويضيف مراد عبد الرّحمن مبروك أشياء أخرى أوسع لوضوح المعنى اللّغوي وتجليته، حيث يقول: "إنّ السّياق الفعلي للنص يتشكل من خلال العلاقة الفعليّة المجسّدة في النص بين الكلمات والجمل والصور مع بعضها البعض، أي أن السياق في هذه الحالة لا ينطبق على الكلمات المفردة فحسب، ولا على الجملة المفردة ولكنه ينطبق على العلاقة الكلية التي تربط الكلمات بالجمل والصور أو اللّوحات أو المشاهد في النّص الأدبيّ[6].

---

[1] ينظر: عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص: 69، و 70.

[2] ينظر: محمّد الشّاوش، أصول تحليل الخطاب، المجلد: 02، ص: 1131 وما بعدها.

[3] محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب (ط01)، 2001، ص: 197.

[4] ينظر: محمد ألتونجي، معجم علوم العربية، ص:468.

[5] ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د.ط)، 1986، ص: 258 وما بعده١. وينظر كذلك: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، (ط05)، 1998، ص: 69.

[6] ينظر: مراد عبد الرحمن مبروك، من الصوت إلى النص، نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، (ط01)، 2002، ص:72.

1. سياق الكلمة ونسق الخطب عند الحجّاج بن يوسف الثقفيّ:

من المعروف أنّ اللّغة البشريّة تقوم على مستويات عدّة منها: المستوى الصوتي والمستوى الصرفي والمستوى التركيبي ... فالأصوات تجتمع لتشكل كلمات ذات دلالة، والكلمات تجتمع لتشكل جملا، وكل ذلك يشكل في النهاية ما يطلق عليه نظام اللغة.

وتنفرد الكلمة بمكانة خاصة في هذا النظام اللغوي، فهي تشكل في النهاية وبالتعاون مع الكلمات الأخرى الدلالة الكلية لأيّ نصّ لغويّ[1] فإذا كانت الأصوات اللغوية هي المكوّن الأوّل للنّظام اللّغوي فإنّ الكلمة هي الرّكن الثاني لهذا النّظام، ومعناها ومدلولها لا يفهم إلاّ من خلال مكوّنها الصّوتي ومن خلال موقعها في النّص اللّغوي، أي أنّ للكلمة معنيان هما: معنى منعزل عن السّياق والآخر تركيبي يرتبط بالسّياق الكلّي للنّص، وسيّاق الكلمة يُبحث من زاويتين: علاقة الكلمة بالكلمة المجاورة، ومحاولة الوصول إلى المعاني المقصودة من خلال هذا التّركيب، والثّانية: طبيعة الكلمة ذاتها في علاقتها بالمعنى.

إذن فدراسة السّياق الذّاتي للكلمة في النّص يعني دراسة الكلمة ذاتها وما يتّصل بها من سوابق (préfixes) ولواحق (suffixes) حيث تساعد هذه السّوابق واللّواحق على تكوين كلمات جديدة في النص الأدبي وتؤدّي إلى ظهور كلمات مشتركة في اللّفظ أو المعنى وفقا لطبيعة تركيبها في السّياق وفي هذه الحالة تصبح الكلمة دالا وما ترمز إليه هو المدلول، والمدلول يتشكّل وفقا لسوابق الكلمة ولواحقها في السياق[2].

أمّا دراسة علاقة الكلمة بالكلمات المتجاورة فإنّها تتّصل بخصوصية تركيب الكلمة مع الكلمة وأثر هذا التّركيب في إبراز المعاني الإيحائيّة والدّلاليّة للنّص من خلال جملة من الخصائص ومنها التّرادف والتّضاد والجناس الصّوتي والمعنى العاطفي للكلمة والموقف الذي وردت فيه ... وسنعود إلى هذه الخصائص بالتّفصيل فيما بعد.

ويمكن توضيح أسس التّحليل السّيّاقي للكلمة من خلال الشّكل التّالي[3]:

أسس التّحليل السّياقيّ

---

[1] **نفسه، ص:75.**

[2] **نفسه، ص:79.**

[3] **المرجع السابق، ص:81.**

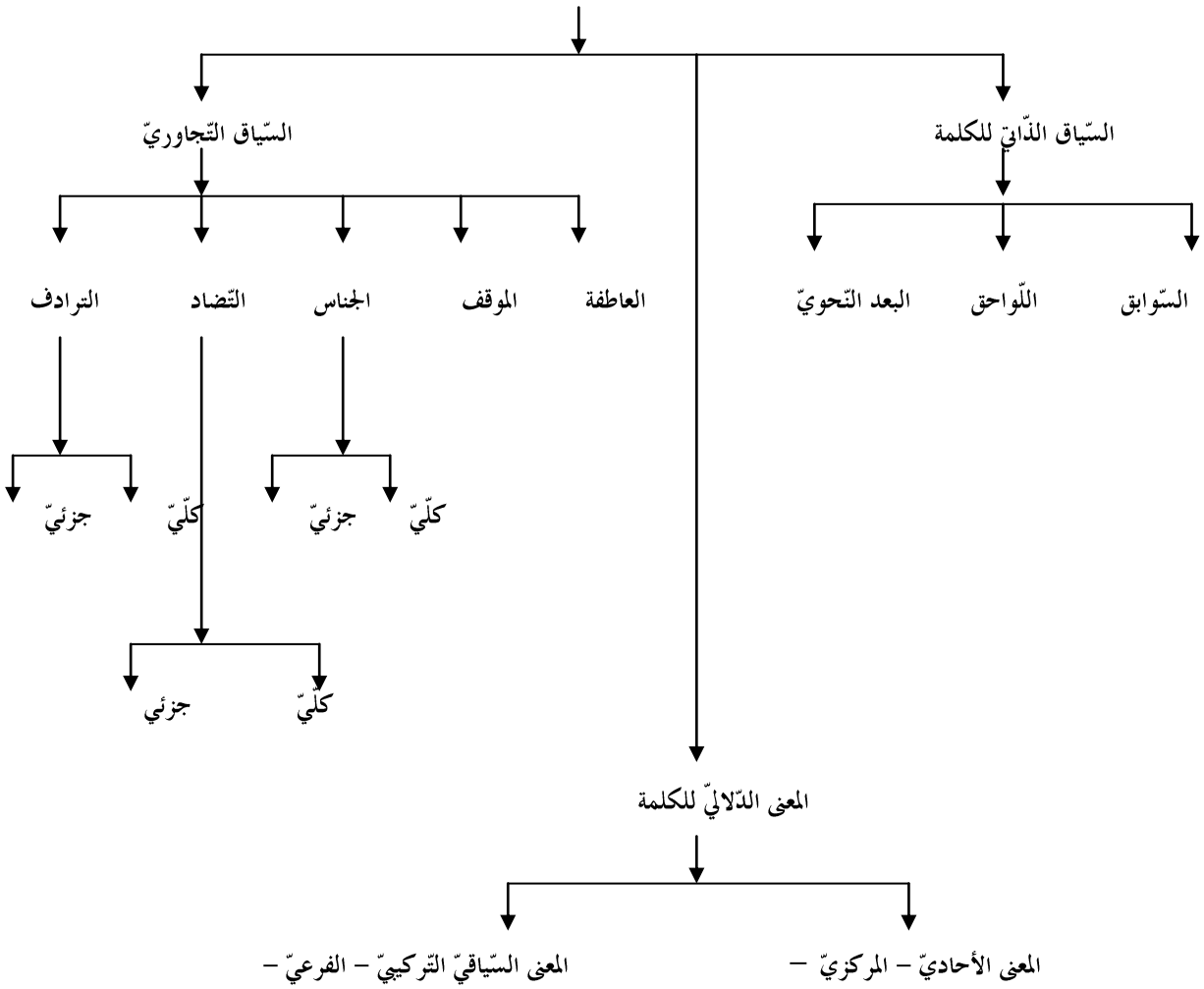

1.1 السياق الذاتي: إذن سنحاول على ضوء هذا الشّكل أن نقف عند أسس التّشكيل السّياقي للكلمة في خطب الحجّاج وتظهر هذه الأسس في جانبين هما: السّياق الذّاتي للكلمة والسّياق التّجاوريّ لها، فالسياق الذاتي كما قلنا يتمثل في جملة السوابق واللواحق والبعد النّحوي [1]، وكلّها تدخل في تكوين الكلمة وتشكيل دلالتها، أي أنّنا سنحلّل دلالة السوابق واللواحق في إطار الدّلالة الزّمنيّة للصّيغة، أمّا بالنسبة للسياق التجاوري فإنّنا سنهتم فيه بدراسة علاقة الكلمة

---

[1] إن تحليل الوحدات النحوية الأساسية للكلمة في السياق يمكّننا من التوصل إلى المفهوم الدلالي للكلمة، وأن هذا التحليل يهتم بوصف الأبعاد أو الامتدادات المتكررة الحدوث في السياق حسب موقع هذه العناصر في السياق ونوع العلاقات والقواعد التي تربطها مع بعضها البعض. ينظر: سامي عياد حنا وشرف الدين الراجحي، مبادئ علم اللسانيات الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د.ط، 1991، ص: 141.

بالكلمات المتجاورة والمتلاحمة معها [1]، فالسوابق تتمثّل في حروف المضارعة التي تتّصل بالفعل المضارع، أما اللّواحق فتتمثل في الضّمائر التي تلحق آخر الفعل.

رقم الخطبة	السّوابق		اللّواحق	
	حروف المضارعة	الفعل	الضّمائر المتّصلة بآخر الفعل	الفعل
الخطبة السّياسيّة الأولى	لا توجد سوابق ولا لواحق في هذه الخطبة			
الخطبة السّياسيّة الثّانية	أ	أكشف	ت	رأيتموني
	أ	أقطع	وا	تزلوا
	ت	تزلوا	نا	أقمناكم
	ي	يقيم	ت	عضّت
	أ	أقيم	ت	وصلته
			ت	شمّرت
الخطبة السّياسيّة الثّالثة	أ	أضع	وا	تعرفوني
	ت	تعرفوني	ت	أينعت
	أ	أحمل	ي	اشتدّي
	أ	أحذوه	ت	شمّرت
	أ	أجزيه	وا	شدّوا
	أ	أرى	ت	جدّت
	أ	أنظر	وا	جدوا
	ت	تترقرق	ت	فررت
	ي	يقعقع	ت	فتشت
	ي	يغمز	ت	جريت
	أ	ألحوّنكم	ت	أوضعتم

[1] مراد عبد الرحمن مبروك، المرجع السابق، ص: 76.

	أ	أقرعنّكم	ت	اضطجعتم
	أ	أعصبنّكم	ت	سننتم
	أ	أضربنّكم	ت	كانت
	ي	يأتيها	ت	كفرت
	ي	يصنعون	وا	يصنعون
	أ	أعد	ت	وفّيت
	أ	أهم	ت	أمضيت
	أ	أخلق	ت	فريت
	ت	تقول	ت	سفكت
	ت	تستقيمنّ	ت	أنهبت
	أ	أدعنّ	ت	هدّمت
	أ	أوجّهكم		
الخطبة	ي	يراد	ت	سمعت
السّياسيّة	ي	يراد	ت	كنت
الرّابعة	ت	تجمع	وا	غزوني
	ت	تجتنبك	ت	غزوتهم
	ت	تقرع	ت	جعلتها
الخطبة	أ	أعجله	ت	وضعت
السّياسيّة	ت	تسعه	ت	قصّرت
الخامسة	ت	تضق	ت	سقمت
	أ	أنذر	ت	صحّت
	أ	أنظر	ت	سبقته
	أ	أحذّر	ا	سلباني
	أ	أعذر	ا	أبدلاني
	أ	أتوعّد	ت	ضربت

	أ	أعفو		
	ي	يخرج		
	ي	يخرج		
الخطبة السّياسيّة السّادسة	ت	تتبعونه	ت	اتخذتموه
	ت	تطيعونه	وا	تتبعونه
	ت	تستشيرونه	وا	تطيعونه
	ت	تنفعكم	وا	تستشيرونه
	ت	تعظكم	ت	رمتم
	ي	يحجزكم	ت	سعيتم
	ي	ينفعكم	ت	استجمعتم
	ي	يخذل	ت	ظننتم
	أ	أرميكم	وا	تتسللون
	ت	تتسللون	وا	تنهزمون
	ت	تنهزمون	ت	وليتم
	ي	يسأل	ت	قصمتكم
	ي	يلوى	ت	كانت
	ي	يزيل	ت	بعثتكم
	ي	يذهل	ت	غللتم
	ت	تذكرون	ت	خنتم
	ت	تشكرون	ت	أمنتم
	ت	تنهكم	ت	أرجفتم
	ت	تزجركم	ت	خفتم
	ي	ينفي	ت	نافقتم
	ي	يباعد	وا	تذكرون
	ي	يكنّها	وا	تشكرون

	ي	يحميها	ت	تبعتموه
	ي	يحرسها	ت	آويتموه
			ت	نصرتموه
			ت	زكيتموه
			ت	كنتم
الخطبة	ت	تلقح	ت	أبغضتموني
السّياسيّة	ت	تنتج	وا	تضرّوني
السّابعة	ت	تحصد	ت	أحببتموني
	ت	تضرّوني	وا	تنفعوني
	ت	تنفعوني	ت	زعمتم
	ي	يفلح	ت	أفلحت
	أ	أعلم	ت	زعمتم
	ت	تقاتلون	وا	تقاتلون
	ي	يعلم	وا	تعلمون
	ت	تعلمون	ت	حاولت
			ت	لست
			ت	لست
			ت	سبقت
			ت	استلأمت
الخطبة	ي	يأخذوا	وا	اتّقوا
السّياسيّة	ي	يرمي	ت	استطعتم
الثّامنة	ي	يقول	وا	اسمعوا
	ي	يكون	وا	أطيعوا
	ي	يقع	ت	أمرت
	أ	أجعلنّهم	وا	يأخذوا

	ي	يقرأ	وا	أخذوا
	ي	يقول	ت	كانت
	ي	ينبغي	ت	أدركته
			ت	ضربت
			ت	علمت
الخطبة	ي	يذهبون	وا	يذهبون
السّياسيّة	ي	يتعلّمون	وا	يتعلّمون
التّاسعة	ي	يتوبون	وا	يتوبون
	ت	تحرصون	وا	تحرصون
	ت	تضيّعون	وا	تضيعون
	ي	يوشك	وا	يقرؤون
	ي	يرفع	وا	يأتون
	أ	أعلم	وا	اعلموا
	ي	يقرؤون	وا	اعلموا
	ي	يأتون	وا	أساؤوا
	ي	يأكل	وا	عملوا
	ي	يحكم	وا	أحسنوا
	ي	يجزي		
	ي	يجزي		
	ي	يعمل		
	ي	يره		
	ي	يعمل		
	ي	يره		
	أ	أستغفر		
الخطبة	أ	أجد	ت	حمّلت

السّياسيّة	ت	تعقب		
العاشرة	أ	أريد		
	أ	أرى		
	أ	أراكم		
	أ	أريد		
	أ	أسأل		
الخطبة	ت	ترون	وا	ترون
السّياسيّة	ي	يفكه		
الحاديّة	ي	يوبقه		
عشر	أ	أحشر		
	أ	أحشر		
الخطبة	ي	يحيق	ت	خللتم
السّياسيّة			ت	انقلبتم
الثّانيّة			ت	جربته
عشر			ت	أحكمته
			وا	اسمعوا
			وا	أطيعوا
			ت	رأيتم
			ت	عرفت
			ت	علمت
			ت	وليتكم
			نا	قتلناه
الخطبة	أ	أريد		
	ي	يقبل		

السّياسيّة	ي	يتجاوز		
الثّالثة	ي	يقبل		
عشر	ي	يتجاوز		
	ت	تقولون		
	ي	يمنعكم		
	ت	تقولون		
الخطبة	أ	أحبّ	ت	كنت
السّياسيّة	أ	أرجو	نا	مشينا
الرّابعة	ي	يوشكنّ	نا	أكلنا
عشر	ي	يفنى	نا	شربنا
	ي	يبلى	وا	ينسلون
	ي	يموت	ت	لقيت
	ت	تدال		
	ت	تأكل		
	ت	تشرب		
	ن	نكون		
	ي	ينسلون		
الخطبة	ي	يرجو	وا	قالوا
	ي	يسرني	ت	رأيت
السّياسيّة	أ	أموت	وا	يبعثون
	ي	يبعثون	ت	أكلت
الخامسة	ي	ينبغي	ت	مصّت
	ي	يكون	وا	يعقلون
	ي	يقسم	وا	يعلمون
	ي	يعقلون		

عشر	ي	يعلمون		
الخطبة الوعظيّة الأولى	أ	أقول		
	ي	يكن	ت	أصبحتم
	ي	يكونوا	وا	خذوا
	ت	ترونه	وا	يكونوا
	ت	تزفر	وا	ترونه
	ت	تتوقد	ت	طلعت
	ي	ينعمون	ت	طلعت
	ي	يخبرون	وا	ينعمون
	ي	يخرّوا	وا	يخبرون
			وا	ذكّروا
			وا	يخرّوا
الخطبة الوعظيّة الثّانيّة	ي	يقرؤه		
	ي	يراه		
	ي	يأخذ		
	ن	ننتقل		
الخطبة الوعظيّة الثّالثة			وا	اقدعوا
			ت	أعطيت
			ت	سئلت
			ت	رأيت
الخطبة الوعظيّة الرّابعة	أ	أجتنبه		
	أ	أتّبعه		
	ت	تكلني		
	أ	أضلّ		
	أ	أحبّ		

الخطبة	ي	يذكر	ت	أتت
الوعظيّة	ي	يستغفر	وا	اقهروا
الخامسة	ي	يفكر		
	ي	يطول		
	ي	يتضاعف		
	ي	يغرنكم		

ما نلاحظه من خلال الجدول، أنّ السّوابق التي سبقت الفعل المضارع والتي تمثّلت في حروف المضارعة وأهمّها الياء والألف والتّاء هي التي كان لها فضل الصّدارة في خطب الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ وهذا يدلّ على أنّ الحجّاج اعتمد في تشكيل الكلمة – إلى حدّ كبير – على صيغة الاستقبال و الحضور، وقد يرجع هذا إلى معايشة الحجّاج لصور ومشاهد النّص، حتّ خالها واقعة في الزّمن الحاضر الذي هو نفسه ممتد إلى الزّمن القديم، أي أنّ ملامح المستقبل لا تختلف عن الحاضر[1].

أمّا عن اللّواحق التي لحقت الأفعال المضارعة والماضية، فقد كانت متنوعة منها: تاء الفاعل وواو الجماعة، ثم تاء التّأنيث، ثم نون الجماعة، ثم ألف الاثنين، ثم ياء المخاطبة، فالحجّاج يتحدّث عن الحرب أو الموت أو الحياة أو الدّنيا أو الآخرة،....فمن أمثلة حديثه أو خطابه عن نفسه قوله في الخطبة السّياسيّة الثّالثة: "... وإنّي والله لاَ أعد إلاّ وفّيت، ولا أهمّ إلاّ أمضيت، ولا أخلق إلاّ فريت،... إلاّ سفكت دمه، و أنهبت ماله، وهدّمت منـــزله "[2].

ومن أمثلة خطابه مع أهل العراق أو عنهم قوله في الخطبة السّياسيّة السّابعة: " أما والله، إن أبغضتموني لا تضرّوني، وإن أحببتموني لا تنفعوني ... وزعمتم أنّي أعلم الاسم الأكبر، فلم تقاتلون من يعلم ما لا تعلمون " [3]، أمّا حديثه وخطابه عن المواضيع الأخرى كالحرب والحياة والموت والدّنيا والآخرة ... فنجد مثلا قوله في الخطبة السّياسيّة الثّالثة:

قد شمّرت عن ساقها فشدّوا وجدّت الحرب بكم فجدّوا[4]

---

[1] ينظر: مراد عبد الرحمن مبروك، من الصوت إلى النص، ص:226.

[2] أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص: 290 و291.

[3] نفسه، ص: 295.

[4] نفسه، ص: 289.

وقوله في الخطبة الوعظيّة الأولى: " هذه الشّمس التي طلعت على التّبابعة والأكاسرة ... ثمّ طلعت على قبورهم " [1].

إنّ رصد السّوابق واللّواحق ليس مجرّد عمليّة إحصاء للحروف والضّمائر وتتبّع توزّعها في خطب الحجّاج فقط، وإنّما تعمل هذه السوابق واللواحق على الكشف عن مدلول النص وفكّ شفراته وتفسيره.

فالسّوابق التي تمثّلت في حروف المضارعة عبّرت عن معايشة الحجّاج لمشاهد من خطبه في الواقع ومعايشة أحداثها ووقائعها وصورها.

أمّا اللّواحق التي تمثّلت في الضّمائر المتّصلة التي لحقت الأفعال الماضيّة والمضارعة وهي كما ذكرنا تاء الفاعل وواو الجماعة وتاء التّأنيث ونون الجماعة وألف الاثنين وأخيرا ياء المخاطبة، إنّما عبّرت عن تنوّع الخطاب الموجّه؛ إمّا إلى الحجّاج ذاته، وإمّا إلى الذّات الجماعيّة وهي أهل العراق أو الحجّاج وأهل العراق معا.

وعلى الرّغم من أنّ هذه السوابق واللواحق تساهم في تشكيل السّياق الذّاتي للكلمة؛ أي في تكوينها المباشر إلاّ أنّها تخرج من السياق الذاتي إلى السياق الخطابي، وهو السّياق الذي يخاطب فيه الحجّاج بن يوسف الثّقفي الذّوات الأخرى من خلال سوابق ولواحق الأفعال، ومعنى ذلك أنّ السّياق الذاتي للكلمة هو الدّال بينما السيّاق الخطابيّ لها هو المدلول لأنّه يخرج الكلمة من إطار مكوّناتها الشّكليّة إلى إطار أبعادها الدّلاليّة [2].

ويمكن توضيح السّيّاق الخطابيّ للأفعال في خطب الحجّاج من خلال هذا المخطّط

السّياق الخطابيّ للأفعال

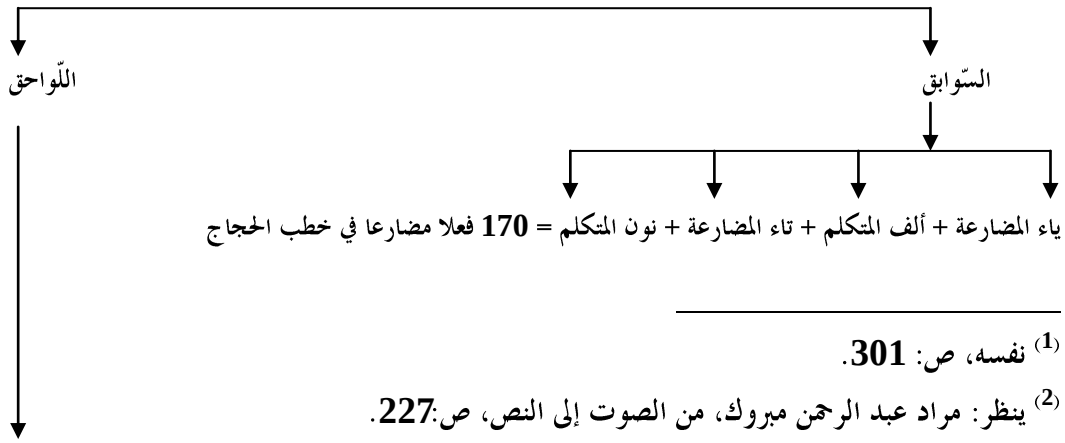

---

[1] نفسه، ص: 301.

[2] ينظر: مراد عبد الرحمن مبروك، من الصوت إلى النص، ص:227.

(80) (47) (41) (02)

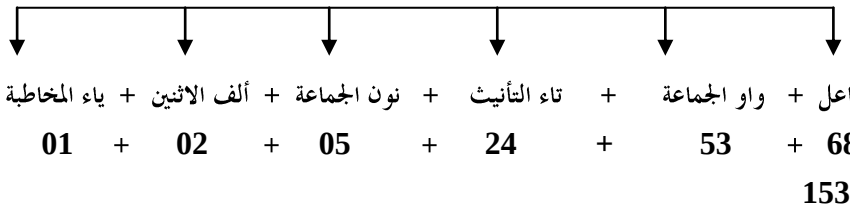

يتّضح من خلال هذا المخطّط أنّ سيّاق الكلمة الفعليّة قد عُني بالصّيغ الاستقباليّة الدّالة على معايشة الحاضر والمستقبل، وهذا يوضّح إلى أيّ مدى كان الحجّاج معايشا لهذه الأحداث الحياتيّة المعيشة الكائنة في الحاضر والمستقبل.

ويتّضح كذلك كثرة الأحداث من خلال كثرة اللّواحق وعلى رأسها تاء الفاعل سواء كانت أفعال الحجّاج أو أفعال أهل العراق، وكذلك كثرة حديثه عن أهل العراق أو معهم من خلال كثرة واو الجماعة، حيث نجد أن الخطب من أولّها إلى آخرها تعجّ بأفعال قام بها الحجّاج وأخرى سيقوم بها أو أفعال قام بها أهل العراق وأخرى سيقومون بها حاضرا أو مستقبلا، ومن أمثلة هذا كلّه نجد قوله في الخطبة السّيّاسيّة الخامسة: " ومن ثقل عليه رأسه، وضعت عنه ثقله، ومن استطال ماضي عمره، قصّرت عليه باقيه "[1]، وقوله كذلك في الخطبة السّيّاسيّة السّادسة: " حيث رمتم المكر، وسعيتم بالغدر، واستجمعتم للكفر، وظننتم أنّ الله يخذل دينه وخلافته "[2] وقوله كذلك في الخطبة السّيّاسيّة السّادسة: " اتّخذتموه دليلا تتّبعونه، وقائدا تطيعونه، ومؤامرا تستشيرونه "[3].

أمّا البعد المكانيّ النّحوي للصّيغة في خطب الحجّاج ونقصد به التّوزيع المكاني للسّوابق واللّواحق باستثناء الخطبة الأولى التي جاءت خالية تماما، والخطبة الثّانية عشر التي وردت فيها سابقة واحدة فقط، أما اللّواحق فقد جاءت متذبذبة في بعض الخطب، فقد غابت تماما عن الخطبة الوعظية الثانية والرّابعة إضافة إلى ورودها مرّة واحدة في كلّ من الخطبة السّيّاسية العاشرة والحادية عشرة.

---

[1] أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص:292.

[2] المرجع السابق، ص: 294.

[3] المرجع السابق، ص: 293.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا التّوزّع المكاني كان وفقا لسياق الخطبة ولوظيفة الكلمة فيها. هذا عن السّيّاق الذّاتي للكلمة في خطب الحجّاج.

1. 2 السياق التجاوري: أمّا السّياق التّجاوري كما قلنا فهو دراسة الكلمة من خلال علاقتها بالكلمات المتجاورة لها من خلال جملة من الخصائص وهي: التّرادف والتّضاد، والجناس الصّوتي، والمعنى العاطفيّ والموقف.

1. 2. 1. التّرادف:

إنّ دراستنا للتّرادف من خلال السيّاق التّجاوريّ للكلمة ودراسة بعض المفردات المشتركة يساهم إلى حدّ كبير في تجلية المعاني الدّلاليّة، شريطة أن يكون تكرارها معبّرا عن معاني دلاليّة جديدة في كلّ مرّة [1]، وبرغم الخلاف حول مفهوم التّرادف وأنواعه فإنّ وروده في النّص اللّغوي يشكل بعدا دلاليّا فيه، وإذا تأمّلنا خطب الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ نجد أنّ التّرادف الوارد بكثرة هو التّرادف الجزئيّ وهو التّطابق الجزئيّ في المعنى دون اللّفظ، وهذا ما يعنينا منه كما قلنا آنفا، ومن أمثلته الظّاهرة: الشّقاق، النّفاق، مساوئ الأخلاق، الفتن، الضّلال، الغيّ، الشّيطان، المكر، الغدر، الكفرات، الفجرات، الخترات، النّزوات، غللتم، ختم، أرجفتم، نافقتم، ناكث، غاو، ظالم، خالع، شاغب، ناعب، زافر، الزّيغ، أبغضتموني، عداوتكم، كارهين،... فهذه الكلمات وأخرى كثيرة على شكلها تشترك كلّها في تبيين الحالة النّفسيّة المنحطّة لأهل العراق وتصوّر فساد سريرتهم إلاّ أنّ لكلّ كلمة منها معنى مغايرا جديدا بحيث نجد أنّ معنى الكفر ليس هو معنى الغدر وكذلك النّفاق والشّقاق، فبالرّغم من ترادفها الجزئيّ كما قلنا فإنّها تحمل في كلّ مرّة معنى جديدا يصوّر الحالة النّفسيّة لأهل العراق. إضافة إلى هذه الكلمات والعبارات هناك كلمات أخرى وهي: أخو الحرب، ابن جلا، طلاّع الثّنايا، سوّاق حطم، عصلبيّ خرّاج من الدويّ، مهاجر، أمرّها عودا.

فكلّ هذه الكلمات والعبارات تدلّ على شخص واحد وهو الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ، إلاّ أنّ كلّ واحدة منها تقدّم دلالة جديدة ووصفا جديدا للحجّاج بن يوسف الثّقفي.

---

[1] **ينظر: مراد عبد الرحمن مبروك، من الصوت إلى النص، ص:231.**

إنّ المتأمّل في خطب الحجّاج بن يوسف الثّقفي ككلّ، يجد أنّ هناك الكثير من الكلمات والعبارات المترادفة تتطابق في المعنى نسبيّا وفي تركيبها السّيّاقي الذي وردت فيه، فلنتأمّل المثال الآتي الذي ورد في الخطبة السّيّاسية حيث يقول:" يا أهل الشّام إنّما أنا لكم كالظّليم الرّامح عن فراخه، ينفي عنها المدر، ويباعد عنها الحجر، ويكنّها عن المطر، ويحميها من الضّباب، ويحرسها من الذّئاب ... " [1].

فالأفعال: ينفي، يباعد، يكنّها، يحميها، يحرسها، كلّها أفعال مترادفة في هذا السّياق وتحمل دلالة الذّود والدّفاع، فالفعل ينفي لا يطابق معنى الفعل يباعد، أو الفعل يكنّ ليس معناه يحرس بالضّبط. ومثال آخر في الخطبة السّيّاسيّة الخامسة حيث يقول: " أيّها النّاس من أعياه داؤه فعندي دواؤه ومن استطال أجله قصّرت عليه باقيه، ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله ... " [2]

فعبارات: داؤه، أجله، رأسه، ماضي عمره، كلها تصبّ في مدلول واحد وهي حياة المرء إلاّ أنّ الحجّاج صاغها بكلمات مختلفة لتبيين وتوضيح المعنى أكثر.

وكذلك عبارات: دواؤه، أعجّله، وضعت عنه ثقله، قصّرت عليه باقيه، كلّها عبارات تدلّ على القتل وسفك الدّماء والعبث بأرواح النّاس ولكن لكلّ منها معنى خاص، لكنّه يصبّ في المعنى المحوريّ وهو القتل أو الموت.

وهناك أمثلة في المدوّنة ككلّ تبيّن مدى قدرة الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ على تطويع لغته والتّعبير عن الفكرة الواحدة بعدّة طرائق وأساليب تزيد في وضوح تلك الفكرة وبيانها وتجعلها في أبهى صورها.

1. 2.2. التّضاد:

إلى جانب التّرادف نجد أنّ التّضاد أيضا يساهم بقسط كبير في توضيح المعاني وإبرازها لأنّ ظاهرة التّضاد تتّصل بالعلاقات الدّلاليّة بين الألفاظ، فبالأضداد تتّضح الأمور والمعاني، والتّضاد هو ذكر الكلمة وما يضادّها في المعنى أي تؤدّيان دلالتين متضادّتين. يقال: ضدّ الشّيء خلافه، وقد

---

[1] **أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص:294.**

[2] **نفسه، ص:292.**

ضادّه، وهما متضادّان، يقال: ضادّك فلان إذا خالفك فأردتّ طولا وأراد قصرا، وأردتّ ظلمة وأراد نورا، فهو ضدّك وضدّ يدك، والتّضاد أن يجمع بين المتضادّين مع مراعاة التّقابل[1].

وقد وظّف الحجّاج بن يوسف الثّقفي الكثير من الكلمات المتضادّة لإبراز المعاني المرجوّة من كلامه وتوضيحها، ومن هذه الكلمات نجد: طخية الباطل ونور الحق، الله والشّيطان، داؤه ودواؤه، استطال وقصّرت، وضعه ورفعه، تسعه العافية وتضق عنه الهلكة، أمنتم وخفتم، تنتج وتحصد، أبغضتموني وأحببتموني، لا تضرّوني ولا تنفعوني، المستوحش لعداوتكم والمستريح إلى مودّتكم، الدّنيا والآخرة، البرّ والفاجر، عرض حاضر وأجل مستأخر، أساؤوا وأحسنوا، الخير كلّه بحذافيره في الجنّة والشّرّ كلّه بحذافيره في النّار، خيرا يره وشرّا يره، البعوث والإيّاب، يفكّه العدل ويوبقه الجور، اللّين لأهل الحق والوطء لأهل الزّيغ، تكلّم وسكت، محسنهم ومسيئهم، الموت والتّخليد، حيّ وميّت، رطب ويابس، طولا وعرضا، الحبيب والخبيث، النّار والجنّة ،غناكم وفقركم، الأموات والأحياء، آمرا وزاجرا، حقّ ومعصيّة، حقّ ومعصيّة، البقاء والفناء، طاعة الله ومعصيّة الله، الغيّ غيّا فأجتنبه والهدى هدى فأتّبعه، مضى من الدّنيا وبقي منها، شاهد الدّنيا وغائب الآخرة، طول الأمل وقصر الأجل.

فبالرّغم من أنّ كلّ هذه الكلمات تساهم في تجلية المعاني فإنّها تعبّر عن التّناقض السّائد في المجتمع العراقيّ والذي تجلّى من خلال كلام الحجّاج وخطبه، إلاّ أنّه كان يهدف من تولّيه العراق إلى العمل على وأد الفتن الواقعة والمستشريّة لذلك كان لزاما عليه أن يستعدّ ويحشد لها العديد من العبارات والكلمات المتضادّة، ومن أمثلة ذلك قوله في الخطبة السّيّاسيّة الخامسة: " أيّها النّاس من أعياه داؤه فعندي دواؤه ومن استطال أجله فعليّ أن أعجلّه، ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله، ومن استطال ماضي عمره قصّرت عليه باقيه إنّ للشّيطان طيفا وللسّلطان سيفا، فمن سقمت سريرته صحّت عقوبته، ومن وضعه ذنبه رفعه صلبه، ومن لم تسعه العافية لم تضق عنه الهلكة"[2].

---

[1] ينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها (عربي–عربي)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، (ط 02)، 2000، ص: 367.

[2] أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص:292.

1. 2. 3. الجناس الصّوتي: يدخل الجناس كذلك ميدان الدّلالة اللّغويّة باعتباره مؤثرا فاعلا فيها نظرا للعلاقة الوثيقة بين معنى اللّفظ أو الكلمة والأصوات التي تكوّنها، وقد أثار بعض النّقاد قضيّة الجرس الصّوتيّ وعلاقته بالمعنى فأشاروا إلى تناسب الألفاظ بين الكلمات والجمل من خلال ائتلاف الحروف وتناسبها. "[1]. والجناس هو: الضّرب من كلّ شيء وهو من النّاس والطّير ومن حدود النّحو والعروض ومن الأشياء جملة ومنه المجانسة والتّجنيس, ويقال هذا يجانس هذا أي يشاكله" [1].وإذا قرأنا خطب الحجّاج ابن يوسف الثّقفي وجدنا أنّها تحتوي على كمّ هائل من الكلمات المتجانسة ومنها:(وطأة وعطفة)، (البتّار والنّار)، (الشّقاق والنّفاق)، (أعصبنّكم وأضربنّكم)، (وفّيت وفريت)، (الشّيطان والسّلطان)، (طيفا وسيفا)، (وضعه ورفعه)، (ذنبه وصلبه)، (أنذر وأنظر)، (أحذّر وأعذر)، (لببه وأدبه)، (الحزم والعزم)، (منكم وعنكم)، (أوطانها وأعطانها)، (السّلاح والرّماح)، (مقيله وخليله)، (الكفرات والفجرات)، (الغدرات والخترات)، (تذكرون وتشكرون)، (شغب ونعب)، (شاغب وناعب)، (الضّباب والذّئاب)، (الرّداء والحذاء)، (النّجوى والشّكوى)، (الدّائر والغابر)، (يفني ويبلي)، (أجل وعمل)، (قصورهم وقبورهم)، (حاسب وراقب)، (آمرا وزاجرا)، (الفناء والبقاء)، (أجتنبه وأتّبعه)، (ربّه وذنبه)، (الأمل والأجل)، فهذه الكلمات المتجانسة تساهم من خلال تكرار أصواته ا في تشكيل إيقاع صوتيّ، فكلام الحجّاج يثير الأسماع ويجعل المخاطبين يتابعون باهتمام كلامه والانصيّاع لأوامره وتنفيذها، خاصّة وأنّ هذا الجناس الصّوتيّ نابع من نفس الحجّاج على السّجيّة من غير تكلّف، فالقدماء تركوا فضل العناية بالمحسّنات البديعيّة ولزموا السّجيّة والطّبع لأنّها أمكن في العقول وأبعد من القلق وأوضح من المراد، وأفضل عند ذوي التّحصيل وأسلم من التّفاوت وأكشف عن الأغراض، وأنصر للجهة التي تنحو نحو العقل وأبعد من التّعمّد الذي هو ضرب من الخداع بالتّزويق، والرّضى بأن تقع النّقيصة في نفس الصّورة وذات الخلقة، إذا كثر فيها من الوشم والنّقش، وأثقل صاحبها بالحليّ والوشي، قياس الحليّ على السّيف الدّدان، والتّوسّع في الدّعوى بغير برهان[2].

---

[1] أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، :ص:292.

[2] ينظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، تحقيق: محمّد الفاضلي، (دط)، 2003، ص:11. وينظر كذلك: السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ضبط وتدقيق وثوتيق: يوسف الصميلي، (ط1)، 1999 ، ص:225.

1. 2. 4. المعنى العاطفيّ:

تساهم الكلمات من خلال سياقها في النّص في تبيين المعنى العاطفيّ والموقف الانفعاليّ فيه، وفي خطب الحجّاج شكّلت الكثير من الكلمات لازمة أساسيّة في السيّاق تجلّى من خلالها الموقف الانفعالي والعاطفي لقائلها وهو الحجاج ومن هذه الكلمات: طخية الباطل ونور الحق، الشقاق والنفاق، الفتنة، السيف، الحرب، الصارم، الشر، الدماء، سواق حطم، القوس، ألحونكم، أقرعنكم، أعصبنكم، أضربنكم، الجوع، الخوف، الشّفعاء والزّافات، الجماعات، الحياة الدنيا والحياة الآخرة، أمير المؤمنين، الله، أنعم الله، إسلام، سفكت دمه، أهبت دمه، هدّمت مترله، بني اللكيعة، عبيد العصا، الشيطان، المظالم، داؤه، عقوبته، أنذل، أحذر، أتوعد، الحزم، والعزم، ضربت عنقه، المكر والغدر، السّلاح، الرماح، المعارك والملاحم، الكفرات والفجرات، والغدرات والختارات، والترّوات، غللتم، خنتم، نافقتم، غاو، ظالم، خالع، مثوبة، عبد الله، خليفة الله، تحرصون، العلم، يقرؤون القرآن، يأتون الصلاة، ملك قادر، ملاقوه، الذين أساؤوا بما عملوا، الذين أحسنوا بالحسنى، كارهين، أكره، طاعة أمير المؤمنين، الجنة، النار، خيرا، شرا، استغفر الله، إياكم والزيغ، نبي الله، سرور النفس، الموت، إبليس، قتلناه، ثواب الله، حي، ميت، أكفانه، أجل منقوص، الأموات، أحياء، شمس عاد، التبابعة والأكاسرة، الملوك الأولون، الجبابرة المتكبرون، المحاسب الله، الصراط منصوب، جهنم تزفر وتتوقد، وأهل الجنة ينعمون، آيات ربهم، راقب ربه، صحيفته، ميزانه، آمرا، زاجرا، معصية الله، الفناء، البقاء، أقذعوا، طاعة الله، معصية الله، محارم الله، عذاب الله، الغي، الهدى، ضلالا بعيدا، ساعة من عمره، يستغفر ربه، يفكر في معاده، شاهد الدنيا، غائب الآخرة، طول الأجل، قصر الأجل، فكلّ هذه الكلمات تدل على أن الحجاج ومهمة توليه العراق ووأد الفتن بداية بفتنة بن الزبير وقتله وقطع رأسه كان واضعا نصب عينيه شيئا واحدا وأمرا واحدا كلفه به أمير المؤمنين وهو إعادة توحيد أهل العراق والحجاز ككل تحت لواء بني أمية وتحت راية الإسلام عامة، كيف لا وهو يعتبر موطّد حكم بني أمية، ولتنفيذ هذه المهمة وهذه المأمورية استخدم كل الوسائل المتاحة لذلك منها: التهديد والوعيد، والقتل وسفك الدماء، والهجاء والترغيب، والوعظ والإرشاد، فجاءت هذه الكلمات سالفة الذكر تعبر عن مجموعة من المواقف والعواطف تجاه ما يحدث أمامه، وما يريد تحقيق ه من أمور، فإذا أخذنا على سبيل المثال العبارات الآتية من الخطبة السياسية الثالثة حيث يقول: " إني لا أحمل الشر بحمله وأحذوه بنعله،

وأجزيه بمثله، وإني لأرى أبصارا طامحة وأعناقا متطاولة ورؤوسا قد أينعت وحان قطافها وإني لصاحبها ... "[1]، فنجد أنها تعبر عن موقف نفسي يعيشه الحجاج وهو الحقد والكراهية التي يحملها لأهل العراق، بل نجده ينتقل من موقف إظهار الحقد والكراهية لأهل العراق إلى الهجاء والشّتيمة واللّعنة حيث يقول في الخطبة السياسية الرابعة: " يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، وبني اللكيعة، وعبيد العصا وأولاد الإماء، والفقع بالقرقر ... "[2]، وقوله كذلك في الخطبة السياسية الخامسة: " ...فقائمه في يدي ونجاده في عنقي، وذبابه قلادة لمن عصاني ... "[3]، بحيث بلغ به الاستخفاف والاستهزاء غاية القسوة حتى أصبح يرى الطعنة في العنق بالسيف يراها بفرح من ينظر إلى القلادة والحلي[4].

ولكن على النقيض تماما نجد أنّ هناك العديد من الألفاظ والكلمات تعبّر عن مواقف الترغيب والوعظ، والإرشاد والنصح، ومنها مثلا قوله في الخطبة السياسية التاسعة: " ألا فاعلموا وأنتم من الله على حذر، واعلموا أنكم ملاقوه ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، ألا وإنّ الخير كله بحذافيره في الجنة، ألا وإن الشر كله بحذافيره في النار، ألا وإنّ من يعمل مثقال ذرّة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرّة شرّا يره، واستغفر الله لي ولكم "[5]، وكذلك ما نجده في خطبه الوعظية حيث يقول في الثالثة منها: " أيها الناس أقذعوا هذه الأنفس فإنها أسأل شيء إذا أعطيت وأعصى شيء إذا سئلت، فرحم الله امرأً جعل لنفسه خطامًا وزماما فقادها بخطامها إلى طاعة الله، وعطفها بزمامها عن معصية الله، فإنّي رأيت الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله"[6].

1. 2. 5. الموقف:

---

[1] أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، :ص:289.

[2] نفسه، ص:291.

[3] نفسه، ص: 292.

[4] ينظر إيليا حاوي، فنّ الخطابة وتطوّره عند العرب، ص: 279.

[5] أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، :ص:297.

[6] نفسه، ص: 302.

يساهم الموقف بقسط كبير في تشكيل صيغة الكلمات وهذه الصيغة – بطبيعة الحال – يكون لهاتأثير في معنى تلك الكلمات بطريقة أو بأخرى، فكل كلمة لديها معنى مركزي وهو معناها المتداول المألوف، ومعنى آخر فرعيّ يتشكّل حسب السياق والموقف، فكلام الخادم مع سيّده غير كلامه مع إنسان عاديّ آخر وهكذا، ففي خطب الحجاج نجد العديد من المواقف كان لها تأثير في معاني الكلمات وتحويلها عن المعنى الأصلي المألوف فمثلا قوله في الخطبة السّياسية السّادسة: " ... استنصركم ظالم، أو استعضدكم خالع "[1]، فكلمة استنصر معناها يفيد طلب النّصرة على الحقّ لكن معناها في هذا المثال وهذا السياق جاء مخالفا للمعنى الحقيقي ما دام طالب النّصرة ظالم، وكذلك قوله استعضدكم فمعناها طلب الدفاع والذود والحماية عن المظلوم، لكنها في هذا الموقف جاءت من خالع وهو الخارج عن الطاعة، طاعة الله وطاعة وليّ أمره، لذلك كانت مخالفة لمعناها الأصليّ والمركزي.

2. سيّاق الجملة وتركيب الخطب:

تأتي دراستنا لسياق الجملة لتساهم أكثر في إيضاح المعاني والدلالات إلى جانب سياق الكلمة، ودراسة سياق الجملة هو دراسة المركبات الاسمية والفعلية إلى جانب المركب التكميلي وكيفية تضافرها جميعا لتفجير المعاني وتنويعها وإيضاحها من خلال ارتباط الأسماء والأفعال والصّفات والمعطوفات والمجرورات سوء كانت هذه المركبات اسمية مع مركبات فعلية أو العكس أو مركبات مستقلة بذاتها[2] وهذه السياقات المتعلقة للجمل الاسمية والفعلية في خطب الحجاج إنما تتركّب وتتشكّل وفقا للأبعاد والقضايا التي يريد الحجّاج طرحها إضافة إلى ما يراه في الواقع المعيش أمامه.

2. 1 المركب الإسنادي: يمكن توضيح ذلك من خلال جدول المركبين الاسميّ والفعلي في خطب الحجاج:

رقم الخطبة	عدد المركب الاسمي	عدد المركب الفعلي	رقم الخطبة	عدد المركب الاسمي	عدد المركب الفعلي
الخطبة السياسية 01	04	07	**الخطبة السياسية 11**	03	07

[1] **نفسه، ص: 294.**

[2] **ينظر: مراد عبد الرحمن مبروك، من الصوت إلى النص، ص: 89.**

الخطبة السياسية **02**	05	14	الخطبة السياسية **12**	19	19
الخطبة السياسية **03**	25	42	الخطبة السياسية **13**	07	08
الخطبة السياسية **04**	12	06	الخطبة السياسية **14**	07	15
الخطبة السياسية **05**	11	23	الخطبة السياسية **15**	07	21
الخطبة السياسية **06**	23	48	الخطبة الوعظية **01**	16	12
الخطبة السياسية **07**	13	13	الخطبة الوعظية **02**	03	12
الخطبة السياسية **08**	12	20	الخطبة الوعظية **03**	04	06
الخطبة السياسية **09**	08	18	الخطبة الوعظية **04**	00	08
الخطبة السياسية **10**	08	06	الخطبة الوعظية **05**	07	07

عدد المركبات الاسمية	**194**
عدد المركبات الفعلية	**312**

ما يلاحظ من خلال الجدول، أنّ المركبات الفعلية كان لها فضل الصدارة عن المركبات الاسمية (312 مركبا فعليا مقابل 194 مركبا اسميا)، وهذا ما يدلّ على كثرة الأحداث والتفاعلات في الحجاج. إضافة إلى التناسب بين استخدام الأفعال بكثرة والمواقف العديدة التي وقفها الحجّاج أثناء إلقاء خطبه سواء في مواقف التهديد أو الوعيد أو الترغيب أو الوعظ والإرشاد أو الوصف .... والأمثلة كثيرة جدّا على ذلك، ومنها قوله في الخطبة السياسية الثانية: " إياكم أن تزلوا عن سنن أقمناكم عليه، فأقطع عنكم ما وصلته لكم بالصارم البتّار، وأقيم من أودكم ما يقيم المثقف من أود القناة بالنار " [1]. فالحجاج كان في هذا المقطع من هذه الخطبة في موقف التهديد لذلك كان لزاما عليه أن يستعمل أكثر المركبات الفعلية، فنجد مثلا الأفعال الآتية: أقمناكم، أقطع، وصلته، أقيم، يقيم، وقوله كذلك في الخطبة السياسية الخامسة:" إنّي أنذر ثم لا أنظر، وأحذر ثم لا أعذر، وأتوعد ثم لا أعفو " [2] وكذلك ما نجده في الخطبة السياسية السادسة حيث يقول: " إن بعثتكم إلى ثغوركم غللتم وخنتم، وإن أمنتم أرجفتم، وإن خفتم نافقتم، لا تذكرون حسنة ولا تشكرون نعمة، هل استخفّكم ناكث أو استغواكم غاو أو استنصركم ظالم، أو

---

[1] **أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص: 288.**

[2] **نفسه، ص:292.**

استعضدكم خالع، إلاّ تبعتموه وآويتموه ونصرتموه، وزكّيتموه " [1]، فالمتأمّل في هذه القطعة من الخطبة يلحظ كثرة الأفعال التي تدل على الحركة والانفعال والتفاعل والتي تناسب مثل هذه المواقف وهي الهجاء مع الوصف ومنها: بعثتكم، غللتم، خس، أمنتم، أرجفتم، خفتم، نافقتم، لا تذكرون، لا تشكرون، استخفكم، استغواكم، استعضّكم، تبعتموه، آويتموه، نصرتموه، زكيتموه.

أمّا في الخطب الوعظيّة، فنجد قوله في الخطبة الوعظية الثانية: " امرؤ حاسب نفسه، امرؤ راقب ربّه، امرؤ زوّر عمله، امرؤ فكّر فيما يقرؤه غدا في صحيفته ويراه في ميزانه " [2]، فنلاحظ الشّيء نفسه حيث الأفعال كلها في هذا المقطع من الخطبة تدل على الحركية والدينامية وهي: حاسب، راقب، زوّر، فكّر، قرأ، رأى، ولعلّ قلة المركب الاسمي هو ما أدى بالخطب إلى حركية أحداثها ودلالاتها ومعانيها[3].

ولكن هذا لا يمنع من تداخل وتلاحم المركّبين الفعليّ والاسميّ في بعض المواضع مثل قول الحجاج في الخطبة السياسية الثانية عشرة: " ... ومات الخلفاء الراشدون المهتدون، المهديّون منهم أبو بكر ثم عمر، ثمّ عثمان الشّهيد المظلوم، ثمّ تبعهم معاوية، ثمّ وليّكم البازل الذكر، الذي جرّبته الأمور وأحكمته التجارب، مع الفقه وقراءة القرآن، والمروءة الظاهرة، واللين لأهل الحق، والوطء لأهل الزيغ " [4]، فنلاحظ في هذا المقطع من الخطبة تضافر المركبات الاسمية مع المركبات الفعلية لأنّ الحجاج في موقف تمجيد للخلفاء الراشدين، ونلاحظ أنّ المركّبات الاسميّة ارتبطت بمسمّيات معينة دون تعبيرها عن الحدث أو الزمن مثل: عثمان الشهيد المظلوم، المروءة الظاهرة، اللين لأهل الحق، الوطء لأهل الزيغ، أمّا المركّبات الفعلية فقد دلّت كما سبق وأن قلنا على الحركية والتفاعل والأحداث مثل: مات الخلفاء، جرّبته الأمور، أحكمته التجارب.

والملاحظ كذلك هو أن المعنى الصرفي الزمني الذي كان له فضل الشيوع في الخطب هو صيغة (فَعَلْتُ) الدّالة على الفعل والحركة والحدث، حيث كانت لها الغلبة على ما عداها من مركّبات إسناديّة أخرى، ومن أمثلتها قول الحجاج في الخطبة السياسية الثالثة: " وإني أقسم بالله لا

---

[1] **نفسه، ص: 294.**

[2] **نفسه، ص: 302.**

[3] **ينظر: مراد عبد الرحمن مبروك، من الصوت إلى النص، ص: 237.**

[4] **أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص: 288.**

أجد رجلا تخلّف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا سفكت دمه وأنهبت ماله وهدمت منزله " [1]، وقوله كذلك في الخطبة السياسية الثانية عشرة:" ورأيتم سيرتي فيكم، وعرفت خلافكم وطيبكم، على معرفتي بكم، ولو علمت أنّ أحدا أقوى عليكم مني أو أعرف بكم ما ولّيتكم ... "[2]، وهذه الصيغة الصرفية ارتبطت بالحجاج بن يوسف الثقفي في بعض المواضع، وفي مواضع أخرى كانت مرتبطة بأهل العراق ومثال ذلك قوله في الخطبة السياسية السادسة:" حيث رمتم المكر، وسعيتم للغدر، واستجمعتم للكفر، وظننتم أنّ الله يخذل دينه وخلافته "[3].

2.2 المركب التكميلي: وإلى جانب اعتماد الحجاج على المركب الإسناديّ – وهذا أمر طبيعيّ – في صياغة الأفكار والمعاني، فإنه اعتمد كذلك – إلى حد كبير – على المركب التكميلي الذي يتمثل كما قلنا آنفا في الصفات والمعطوفات والمجرورات، وذلك لاكتمال جوانب المعاني والدلالات في خطاباته، فالصفات كانت عديدة ومتنوعة ومن أمثلتها قوله في الخطبة السياسية الرابعة:

متى تجمع القلب الذكيّ وصارما وأنفا حميّا تجتنبك المظالـــم[4]

ففي هذا البيت نجد صفتين هما: الذكيّ وحميّا، وهما يدلاّن على الحزم والاستعداد اللّذين يتمتّع بهما الحجّاج بن يوسف الثقفي، وكذلك قوله في الخطبة السياسية التاسعة: " ألا وإنّي أعلم بشراركم من البيطار بالفرس، الذين لا يقرؤون القرآن إلا هجرا، ولا يأتون الصلاة إلا دبرا، ألا وإنّ الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، ألا وإنّ الآخرة أجل مستأخر يحكم فيها ملك قادر ..." [5] فنجد في هذا المقطع من الخطبة العديد من الصفات وهي: هجرا، دبرا، عرض حاضر، ملك قادر، البر والفاجر، أجل مستأخر، وقد ساهمت كلها – إلى جانب المركبات الإسنادية الفعلية والاسمية – في إيضاح المعاني من خلال السياقات المختلفة التي وردت فيها.

وإلى جانب استخدام الحجاج للصفات بكثرة نجده كذلك يُكثر من استخدام حروف العطف بأنواعها ومنها: الواو والفاء، ثم، أو، حتى ...

---

[1] **نفسه، ص: 291.**

[2] **نفسه، ص: 298.**

[3] **المصدر السابق نفسه، ص: 294.**

[4] **نفسه، ص: 292.**

[5] **نفسه، ص: 296.**

فالواو وردت أكثر من 280 مرة توزعت في كامل المساحة النصية للخطب، ومن أمثلتها قول الحجاج في الخطبة السياسية الرابعة:" يا أهل العراق، يا أهل الشّقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، وبني اللكيعة، وعبيد العصا، وأولاد الإماء، والفقع بالقرقر " [1]، وقوله كذلك في الخطبة السياسية الخامسة عشرة: " كأني والله بكلّ حيّ منكم ميتا، وبكل رطب يابسا، ونقل في ثياب أكفانه إلى ثلاثة أذرع طولا في ذراع عرضا، وأكلت الأرض لحمه، ومصّت صديده، وانصرف الحبيب من أولاده يقسم الخبيث من ماله ... " [2]، وقوله كذلك في الخطبة الوعظية الأولى: " أيها الناس قد أصبحتم فغي أجل منقوص وعمل محفوظ، ربّ دائب مضيع وساع لغيره، والموت في أعناقكم، والنار بين أيديكم، والجنة أمامكم، خذوا من أنفسكم لأنفسكم، ومن غناكم لفقركم، ومما في أيديكم لما بين أيديكم ..." [3].

أما الفاء فقد وردت أكثر من 50 مرة، وقد وردت على عدة معان منها الترتيب والتعقيب مثل قول الحجاج في الخطبة السياسية الثالثة:" وإن أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه، فعجم عيدانها، فوجدني أمرّها عودا وأصلبها مكسرا، فرماكم بي " [4]، فالفاء هنا أفادت الترتيب والتعقيب لأن أمير المؤمنين، عندما نثر كنانته مباشرة بعدها عجم عيدانها وبعدها مباشرة رمى أهل العراق بأمرها عودا وأصلبها مكسرا وهو الحجاج، وهي كناية عن توليته شؤون أهل العراق، فالتعقيب أن يكون وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه بلا مهلة بينهما [5]، ومثال آخر في الخطبة السياسية السادسة حيث يقول: " يا أهل العراق إنّ الشيطان قد استبطنكم، فخالط اللحم والدّم والعصب والمسامع والأطراف، ... [6]، فالشيطان مباشرة بعد استبطانه أهل العراق خالط لحومهم ودماءهم وأعصابهم وأطرافهم حيث لا توجد مهلة بين هذه الأحداث.

---

[1] **نفسه، ص: 291.**

[2] **المرجع السابق نفسه، ص:300.**

[3] **نفسه، ص: 301.**

[4] **نفسه، ص: 290.**

[5] **ينظر أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبلّ الصّدى، ومعه كتاب سبيل الهدى بتحقيق قطر الندى، تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، (د.ط)،2004، ص: 299.**

[6] **أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص: 293.**

وقد تفيد الفاء كذلك التّسبّب [1] مثل قول الحجاج في الخطبة السياسية السادسة: " إنكم لكاهل قرية كانت أمنة ومطمئنة، يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون "، فالله سبحانه وتعالى أذاق أهل القرية لباس الجوع والخوف بسبب كفرهم بأنعمه.

وإذا أتينا إلى ثمّ [2]، فنجدها وردت أربعة عشرة مرة (14) ومن أمثلتها قول الحجاج ابن يوسف الثقفي في الخطبة السياسية الخامسة حيث يقول: " إنّي أنذر ثم لا أنظر، وأحذر ثم لا أعذر، وأتوعد ثم لا أعفو...." [3]، وقوله في الخطبة السياسية الثانية عشرة: " ... فمات رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، ومات الخلفاء الراشدون المهتدون المهديون، منهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان الشهيد المظلوم، ثم تبعهم معاوية ثم وليكم البازل الذكر...." [4]، فثمّ في هذا المثال أفادت الترتيب والتراخي لأنّ حدث الوفاة وقع في أوقات متباعدة أي بين وفاة وأخرى هناك مهلة من الزمن.

أمّا عن باقي أدوات العطف الأخرى فنجد مثلا: " أو " والتي وردت اثنتي عشرة مرة(12)، وهي تفيد التخيير أو الإباحة بعد الطلب، والشّك أو التشكيك بعد الخبر [5]، ومن أمثلتها قول الحجاج في الخطبة السياسية الثالثة: " أما والله لتستقيمن على طريق الحق، أو لأدعنّ لكلّ رجل منكم شغلا في جسده " [6]، فـــ: " أو " في هذا المثال تفيد التخيير أي أن أهل العراق مخيّرون بين الاستقامة عن طريق الحق أو الضرب بالسيف، وقوله في الخطبة السياسية السادسة: " فكيف تنفعكم تجربة أو تعظكم وقعة أو يحجزكم إسلام أو ينفعكم بيـــان " [7]، فـــ: " أو " في

---

[1] ينظر أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبلّ الصّدى، ص:299.

[2] تفيد ثم: الترتيب والتراخي، فإذا قلنا " جاء زيد ثم عمرو " فمعناه أنّ مجيء عمر وقع بعد مجيء زيد بمهلة، فهي مفيدة أيضا لثلاثة أمور: التشريك في الحكم والترتيب والتراخي. ينظر أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبلّ الصّدى، ص: 300.

[3] أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص:292.

[4] المرجع السابق نفسه، ص:298.

[5] ينظر أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبلّ الصّدى، ص:302.

[6] أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص:291.

[7] المرجع السابق نفسه، ص:297.

هذا المثال تفيد الشك لأنّ الحجاج يشك في أن أهل العراق تنفعهم تجربة أو تعظهم حادثة أو إسلام أو بيان بعدما رأى حالتهم النفسية المتعفّنة المليئة بالنفاق والشّقاق.

وإضافة إلى تعدّد المعطوفا ت وأثرها في تنوع المعاني وإبرازها ساهمت حروف الجر بكل أنواعها في إيضاح المعاني وتبسيطها، حيث كانت متواجدة في كامل خطب الحجاج ومنها: الباء، وفي، واللام، وعلى، وعن، واو القسم، وربّ [1]،.... إلاّ أنّ الغلبة كانت لحرف الباء ومن وفي واللام، ومن أمثلتها قول الحجاج في الخطبة السياسية الثالثة: " يا أهل الكوفة، أما والله إنّي لأحمل الشّر بحمله وأحذر بنعله، وأجزيه بمثله..." [2]، وقوله في الخطبة السياسية العاشرة: " يا أهل العراق، إني لم أجد داءً أدوى لدائكم من هذه المغازي والبعوث، لولا طيب ليلة الإياب وفرحة القفل، فإنها تعقب راحة، وإنّي لا أريد أن أرى الفرحة عندكم ولا الراحة بكم، وما أراكم إلاّ كارهين لمقالتي، وأنا والله لرؤيتكم أكره " [3].

---

[1] للاستزادة ينظر: ابن هشام الأنصاري، المرجع السابق، 247.

[2] أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص:289.

[3] المرجع السابق نفسه، ص:297.

3. الدّلالة النّصّية والرّؤية الكلّية:

إن دراسة أي نص أدبي من جميع جوانبه الصوتية والصرفية والتركيبية، تقودنا – لا محالة – إلى دلالته الكلية، وهذه الدّلالة الكلية ترتبط بالرؤية الشمولية التي تنقسم إلى قسمين: **القسم الأول** ويدرس الدلالة الكلية الظاهرة، وتقوم على مجموع الدلالات الصوتية والتركيبية في النص، والتي تبدو مباشرة وبوضوح من خلال سياقها الذي وردت فيه، و **القسم الثاني** يدرس الدلالة الكلية التأويلية أي تأويل ما يحتويه النص من شحنات وأبعاد سياسية واجتماعيّة وثقافية وحضارية وفكرية [1].

وإذا تتبعنا خطب الحجاج بن يوسف الثقفي في تراكيبها وأنساقها نستطيع أن نكتشف ما تحتويه من دلالات ومعان مختلفة (سياسية، اجتماعية، ثقافية، حضارية ...).

1.3. الدلالة الكلّية الظاهرة: وهي مجموع الدلالات الصوتية والصرفية والتركيبية المترابطة في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي، فهذه العناصر تفرز لنا بعد دراستها وتحليلها الدلالة الكلية الظاهرة التي تبدو مباشرة وبوضوح – كما قلنا آنفا – من خلال تحليلها في سياقاتها المختلفة التي وردت فيها.

وعلى هذا الأساس فإن دراستنا لسياق الكلمة ونسق الخطب وسياق الجملة وتركيب الخطب، تبدو لنا الدلالة الكلية الظاهرة لها، فخطب الحجاج بن يوسف الثقفي هي خطب ألقاها

---

[1] **ينظر: مراد عبد الرحمن مبروك، من الصوت إلى النص، ص: 112 وما بعدها.**

بعد قتله ابن الزبير وتولّيه العراق، وفيها تولّى مسؤولية إقناع أهل العراق بضرورة العودة إلى طريق الحق وتوحيدهم تحت راية الخلافة الأمويّة. وهذا الإقناع وهذه المسؤولية استعمل فيها الحجاج كافة الوسائل المتاحة منها التهديد والوعيد والقتل وسفك الدماء ومنها أيضا الترغيب والنصح والإرشاد، فوظّف الكلمات والجمل التي تحقق ذلك المبتغى، وقد وضّحنا ذلك عند حديثنا عن سياق الكلمة ونسق الخطب وسياق الجملة وتركيب الخطب، أين ساهم التركيب السياقي للكلمة والجملة في تنوع وإثراء دلالات النص وكشف خباياه، حيث شكلت السوابق واللواحق في هذه الخطب دورا كبيرا في تفسيرها، بالإضافة إلى السياق التجاوريّ للكلمة من خلال الترادف والتضاد والجناس الصوتي وإسهامهم في توضيح المعاني إلى جانب دراسة المعنى العاطفي والمواقف التي تشكلت وفقها الكلمة وأثر ذلك على تنوع معانيها.

2.3. الدلالة الكلية التأويلية: كما قلنا آنفا ، تتجلى الدلالة الكلية التأويلية من خلال تحميل الشحنات (السياسية والاجتماعية والحضارية والفكرية ...). وتبدو هذه الدلالة من خلال الإشارات الداخلية لخطب الحجاج كالأسطورة أو الرمز أو التناص، أو الأنماط التراثية، حيث تنتقل هذه الإشارات من معناها المعجمي إلى معان دلالية متنوعة حسب السياق.

1.2.3. الرمز: لقد وظّف الحجاج بن يوسف الثقفي الرمز في خطبه بغية تحميله أبعادا دلالية إيجابية، ويمكن توضيح ذلك من خلال المثال الآتي، وهو قوله في الخطبة السياسية الأولى: " ألا إنّ ابن الزّبير كان من أحبار هذه الأمة، حتى رغب في الخلافة ونازع فيها، وخلع طاعة الله واستكنّ بحرم الله، ولو كان شيئا مانعا للعصاة لمنع آدم حرمة الجنّة، ... " [1]، ففي هذا المثال استخدم الحجاج العديد من الرموز الدينية مثل أحبار، طاعة الله، حرم الله، حرمة الجنّة، وقد كان المقصود من توظيف هذه الرموز هو تبرير قتله لابن الزبير، الذي كما قال عنه: كان من أحبار هذه الأمة أي من علمائها، لكنه عصى الله بالخروج عن طاعة ولي أمره، لذلك استحقّ الموت، وقوله كذلك في الخطبة الوعظية الأولى: " هذه شمس عاد وثمود وقرون كثيرة بين ذلك، هذه الشمس التي طلعت على التبابعة والأكاسرة، وخزائنهم السائرة بين أيديهم " [2]، فقد استخدم الحجاج في هذا المثال كذلك الرمز الديني والمتمثل في عاد وثمود التبابعة والأكاسرة ليقدّم النّصيحة لأهل العراق

---

[1] أحمد زكي صفوت، السابق، ص:287.

[2] المرجع السابق نفسه، ص:301.

ليأخذوا العبرة، فبرغم القوة والجبروت والمال لم تغن هذه الأشياء المادية من شيء عن قوم عاد وثمود التبابعة والأكاسرة، فقد بادوا وأهلكهم الله لأنهم كفروا به وبدّلوا نعمه وجحدوا بها، حيث أراد أن يبيّن لأهل العراق أنّ الإنسان مهما كانت قوته الجسدية والمادية فإنه ميت لا محالة، والعبرة مما حدث لقوم عاد وثمود والأكاسرة.

2.2.3. الدّلالة الاجتماعيّة: وهي محاولة الحجاج بن يوسف الثقفي الوصول إلى صورة جميلة للمجتمع العراقي من خلال ما يتجلى من معان ودلالات في كلامه وخطبه، وبتعبير آخر، كيف حاول الحجاج توجيه أهل العراق لبناء صورة لمجتمع متكامل: طريق الحق والطاعة والابتعاد عن الفتن والمظالم ... ويتجلى ذلك من خلال بعض المقاطع في خطبه ومنها قوله في الخطبة السياسية الثالثة: " فإيّاي وهذه الشفعاء والزرافات، والجماعات، وقالا وقيلا، وما تقول ؟ وفيم أنتم وذاك"[1]، فالحجاج يحذّر ويمنع التّصرّفات المولّدة للفتن مثل التجمعات وتتبع الأقوال ونقلها خاصة منها الأقوال التي تحمل الشر والتأليب على الحاكم والخروج عن طاعته، وقوله كذلك في الخطبة السياسية الثامنة: " قال الله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[2]، فهذه لله وفيها مثوبة، وقال: ﴿ واسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾[3] وهذه لعبد الله وخليفة الله ..." [4]، فالحجاج يحاول أن يقنع أهل العراق بضرورة الطاعة والطاعة الجالبة للخير والثواب، والسير على طريق الحق بتذكيرهم بآيات الله، وقوله كذلك في الخطبة السياسية التاسعة: " مالي أرى علماءكم يذهبون، وجهّالكم لا يتعلمون، وشراركم لا يتوبون ؟ مالي أراكم تحرصون على ما كفيتم، وتضيعون ما به أمرتم " [5]، فهذه دعوة صريحة للتعلم والتثقف في الدين ونبذ الأعمال الشّريرة، والعمل للحياة الآخرة؛ الحياة الأبديّة، وتتجلى أكثر أفكار الحجاج في محاولة بنائه مجتمعا أكثر تكاملا وانسجاما في خطه الوعظية ومن أمثلتها قوله في الخطبة الوعظية الخامسة: " إنّ امرأً أتت عليه ساعة من عمره لم يذكر فيها ربه، ويستغفر ربه من ذنبه، ويفكر في معاده، لجدير أن يطول حزنه ويتضاعف أسفه، إنّ الله

---

[1] أحمد زكي صفوت، السابق، ص:290.

[2] سورة التغابن، الآية: 16.

[3] سورة التغابن، الآية: 16.

[4] أحمد زكي صفوت، السابق، ص:295، 296.

[5] نفسه، ص:296.

كتب على الدنيا الفناء، وعلى الآخرة البقاء ... " [1]، وقوله كذلك في الخطبة الوعظية الثالثة: " أيها الناس أقذعوا هذه الأنفس فإنها أسأل شيء إذا أعطيت وأعصى شيء إذا سئلت، فرحم الله امرأً جعل لنفسه خطاما وزماما فقادها بخطامها إلى طاعة الله، وعطفها بزمامها عن معصية الله، فإنّي رأيت الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله"[2].

3.2.3. الدّلالة النفسية: إذا تأملنا خطب الحجاج فإننا نجدها محمّلة ببعض الدلالات النفسية ومنها بعض المواقف المتجلية في كلامه كالقبول والرفض والحب والكره ... ومنها قوله فغي الخطبة السياسية العاشرة: " وإنّي لا أريد أن أرى الفرح عندكم ولا الراحة بكم " [3] فالحجاج يكره ويرفض أن يرى أهل العراق مستريحين مطمئنين ولا فرحين كذلك، وقوله كذلك في الخطبة السياسية الحادية عشرة: " وأيمّ الله إنّي لأحبّ إليّ أن أحشر مع أبي بكر وعمر مغلولا من أن أحشر معكم مطلقا "[4]. فالحجاج يرفض أن يحشر مع أهل العراق أبدا وفي المقابل يود أن يحشر مع أبي بكر وعمر حتى ولو كان مغلولا.

4.2.3. الدّلالة السّياسيّة: وتتجلّى هذه الدلالة في الصرامة والحزم فغي تنفيذ أوامر الخليفة عبد الملك بن مروان الذي يعتبر ولي الأمر ويمثل السلطة السياسية الشرعية، وطاعته واجبة وأوامره نافذة، وتظهر هذه الدلالة في بعض المقاطع من كلام الحجّاج، ومنها قوله في الخطبة السياسية الثالثة: " وإن أمير المؤمنين – أطال الله بقاءه – نثر كنانته بين يديه، فعجم عيدانها فوجدني أمرها عودا وأصلبها مكسرا...أما والله لألحونكم لحو العصا، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل، ولأقرعنكم قرع المروة..." [5]، فالحجاج هنا يتوعد أهل العراق بعدما وجهه الخليفة لتولي شؤونهم، وكذلك قوله في نفس الخطبة:" وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإني لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا سفكت دمه ... " [6].فالحجاج هنا مأمور بإعطاء كل ذي حق حقه من طرف أمير

---

[1] أحمد زكي صفوت، السابق، ص:303.

[2] نفسه، ص: 302.

[3] نفسه، ص: 297.

[4] نفسه، ص: 297.

[5] نفسه، ص: 290.

[6] المرجع السابق نفسه، ص: 291.

المؤمنين وهذا ما فعله وطبّقه، ولكن بالمقابل يجب على أهل العراق الإذعان للأوامر وتطبيقها، وتتجلى بوضوح هذه الدلالة السياسية في قوله في الخطبة العاشرة: " ولولا ما أريد من تنفيذ طاعة أمير المؤمنين فيكم ما حمّلت نفسي مقاساتكم والصّبر على النّظر إليكم ... " [1].

إن المتتبع للدراسات والنظريات اللسانية المعاصرة يرى بأنها تنقسم إلى قسمين: قسم يدرس النظام اللغوي وعلاقة عناصره بعضها ببعض دراسةً شكلية معزولة عن السياق الاجتماعي

---

[1] **نفسه، ص: 297.**

والثقافي الذي استُخدمت فيه، ويمثّل هذا الاتجاه نظريتين هما النظرية البنوية ونظرية النحو التحويلي التوليدي.

والقسم الثاني يعنى بدراسة الاستخدام اللغويّ والضوابط التي تحكمه ودور المقام أو السياق في التواصل الإنسانيّ، ويتميز هذا الاتجاه بعنايته بالمتكلم والسّامع والعلاقة بينهما ودراسة اللغة خلال المنجز التلفظي في سياق معين وما يرافق الكلام من حركات الجسم وتعابير الوجه، لا تستطيع النظريات الشكلية الكشف عنها وتحليلها، ويمثل هذا الاتجاه مناهج ونظريات كثيرة منها: اللسانيات الاجتماعية (sociolinguistique) والنحو الوظيفي (la grammaire fonctionnelle) والتداولية (pragmatique) التي تعد أهم هذه النظريات والدراسات في هذا الاتجاه. [1].

4. الاتجاه التداولي في البحث اللغويّ المعاصر:

كما قلنا سابقا في المدخل النظريّ في الاتجاه التّداولي للغة بمفهومه المعاصر يعود إلى العالم الأمريكي تشارلز موريس انطلاقا من عنايته بتحديد الإطار العام لعلم العلامات أوالسيميائية، وقد لجأ إليه الدّارسون ليمدّهم برؤى جديدة متعدّدة نتيجة قصور الدراسات اللّسانيّة الشكلية وإهمالها لمقاربة اللغة في تجلّيها الحقيقيّ أي في الاستعمال اللغويّ، حيث يرى ليفنسون (levinson) أن الأساس الأول لنشأة المنهج التداولي كان بمثابة ردّة فعل على معالجة تشومسكي للغة بوصفها شيئا تجريديا أو قصرها على كونها قدرة ذهنية بحتة دون اعتبار لاستعمالها ومستعملها ووظائفها [2].

ولكن ظهور التداولية كمنهج ونظرية كان على يد الفيلسوف الانجليزي أوستن (J.Austin) إثر صدور كتابه الموسوم بـــ: " كيف نصنع الأشياء بالكلمات ؟ " حيث تتحدّد عنده التداولية على أنها جزء من دراسة علم أعم هي دراسة التعامل اللغويّ من حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي حيث انتقل أوستن من المستوى اللغوي والنحوي والنفسي للغة إلى المستوى الاجتماعيّ ودائرة التأثير والتأثر من خلال استعمال اللغة لتحقيق التواصل، وقد ظهر بعد أوستن

---

[1] ينظر محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر، ص: 57، و58. وينظر كذلك عبد الهادي بن ضافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 07 وما بعدها.

[2] ينظر عبد الهادي بن ضافر الشهري، السّابق، ص: 21.

العديد من العلماء الذين ساروا على نهجه وعلى رأسهم غرايس (Grice) وسورل (Searle)[1].

وتجدر الإشارة إلى أنّ التداولية لدى مدرسة أوستن ليست لها علاقة بالتيار الفلسفي الذي نشأ في أمريكا والذي يدعى الذرائعيّة، والذي يعود إلى العلماء المنظّرين للسّيميائيّة وعلى رأسهم تشارلز بيرس (CH.Pirce) وتشارلز موريس (CH.W.Mourris) وجون ديوي ...وتختلف دلالتها حسب الحقل الذي تنبعث منه كالفلسفة واللّسانيّات والاتصال ... على أنّ سمتها الغالبة تظلّ في توجّهها العلميّ، ونتيجة لذلك تعدّدت مصطلحات المنهج التداولي وتداخلت وتنوعت ترجماتها العربية منها النفعية والذرائعية والاتصالية والبراغماتية ... [2]، وهذا التداخل بدوره أدّى إلى صعوبة كبيرة في وضع جامع مانع لها، حيث عكف كل دارس على تقديم تعريف بحسب اهتمامه هو نفسه: فقد يكون اهتمام الدارس بالمعنى في سياق التواصل مما يسوّغ له تسمية المعنى بمعنى المتكلّم فيعرّفها بأنّها دراسة المعنى التواصلي أو معنى المرسل في كيفية قدرته على إفهام المرسل إليه بدرجة تتجاوز ما قاله، وقد يعرفها انطلاقا من اهتمامه بتحديد مراجع الألفاظ وأثرها في الخطاب ومنها الإشارات بما في ذلك طرفي الخطاب وبيان دورهما في تكوين الخطاب ومعناه وقوته، كما قد يعرفها من وجهة نظر المرسل بأنها كيفية إدراك المعايير والمبادئ التي توجهه عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغويّة في ضوء عناصر السياق، بما يكفل له ضمان التوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده وتحقيق هدفه، ومن هذه الرّؤى المتعدّدة تغدو التداولية في مفهومها العام هي دراسة الاتصال اللغويّ في السياق، وهذا التعريف هو ما يسمح بدراسة أثر السياق في بنية الخطاب ومرجع رموزه اللغوية ومعناه كما يقصد المرسل[3].

ويجمع أغلب الباحثين على أن التداولية تقوم على دراسة أربعة جوانب هي:

---

[1] ينظر راضية بوبكري، التداولية وتحليل الخطاب الأدبيّ، مقاربة نظرية، ضمن أعمال ملتقى اللغة العربية والمصطلح 2002، منشورات جامعة عنابة، 2006، ص: 329. وينظر كذلك راضية خفيف، التداولية في اللسانيات الحديثة، ص: 242، و243.

[2] ينظر راضية بوبكري، السابق، ص: 330.

[3] ينظر عبد الهادي بن ضافر الشهري، السّابق، ص: 22. وللاستزادة ينظر محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 12 وما بعدها.

الإشارة والافتراض السابق [1]. والاستلزام الحواري والأفعال الكلامية. على أن اهتمامها الأكبر منصب على دراسة الاستلزام الحواري وخاصة الأفعال الكلامية، لذلك سنحاول تتبع هذين الجانبين ففي خطب الحجاج من خلال ما يوفّره هذا المنهج من آليات.

1.4. الاستلزام الحواريّ: Conversational implicature

يعدّ الاستلزام الحواريّ أحد الجوانب المهمة التي يعنى بها البحث اللساني التداولي، وترجع نشأة هذا المبحث اللغويّ إلى سنة 1967 وبالضبط في محاضرات غرايس – وهو من فلاسفة أكسفورد المتخصصين في دراسة اللغة الطبيعية – التي ألقاها في جامعة هارفارد، حيث ضمت تصوراته لهذا الجانب من الدرس اللغويّ والأسس المنهجية الذي يقوم عليها[2]. وكانت نقطة البدء عنده أنّ الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كل همّه إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يقصد، وبهذا نشأت عنده فكرة الاستلزام [3] الذي يرى أنه نوعان:

استلزام عرفي واستلزام حواري، فالاستلزام العرفي هو ببساطة ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات ومعان بعينها مهما اختلفت السياقات والمواضع اللغوية التي ترد فيها. أما الاستلزام فهو متغير دائما بتغير المقام أو السياق.

وهناك عدة تساؤلات شغلت فكر غرايس ومنها:

كيف يمكن أن يقول المتكلم شيئا ويعني شيئا آخر ؟ وكيف يسمع المخاطب شيئا ويفهم شيئا آخر؟ وهذا ما دفعه إلى التفكير في إيجاد حلّ لمثل هذه التساؤلات. وهذا الحلّ أُطلق عليه: مبدأ

---

[1] الإشارة أو الاشاريات موجودة في كلّ لغة من لغات العالم وهي أدوات وعلامات لغوية خالية من أي معنى في ذاتها، إذ لا يتحدّد معناها إلا في سياق الخطاب التداوليّ على الرغم من ارتباطها بمرجع، وهي خمسة أنواع: إشاريات شخصية، وزمانية، ومكانية، واجتماعية، وخطابية. أما الافتراض السابق أو المسبق فيعني أن المتكلم يوجه حديثه إلى السامع على أساس ما يفترض سلفا أنه معلوم له. ينظر: ينظر عبد الهادي بن ضافر الشهري، المرجع السابق، ص: 79 وما بعدها. وينظر كذلك، محمود أحمد نحلة، المرجع السابق، ص: 15 وما بعدها.

[2] ينظر محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 32 .

[3] القوة الإنجازية التي تواكب العبارات اللغويّة كما هو معلوم هي قوتان: قوة إنجازية وقوة إنجازية مستلزمة، فالقوة الإنجازية الحرفية مدلول عليها مباشرة بصيغة العبارة في حين أن القوة الإنجازية المستلزمة تتولد عن الأولى طبقا لمقتضيات مقامات معيّنة. ينظر أحمد المتوكّل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة بحوث ودراسات، (ط01)، 1993، ص: 21.

التعاون: وهو عبارة عن عناصر خفية تأتي في شكل اتفاق ضمني من قبل المتكلم والمخاطب بحيث يسهر كل طرف على السير الحسن لعملية التواصل، ويقوم هذا المبدأ على أربعة مبادئ فرعيّة[1].

وإذا أتينا إلى خطب الحجاج بن يوسف الثقفي فإننا نجده في العديد من المواقف يستخدم لغة ويتكلم كلاما لا نقول إنه معاكس لما يريده، لكنه يحتاج إلى روية وإعمال فكر لفهمه والوقوف على حقيقته. كما يتحدث عن أمور وأفكار بطريقة لافتة تتطلب من السامع إعمال فكره لفهمه بسرعة وقبل فوات الأوان، ولنأخذ مثلا قوله في الخطبة السياسية السادسة:

هذا أوان الشّدّ فاشتدّ زيـــم قد لفّها اللّيل بسواق حطم
ليس براعي إبـــل ولا غنـــم ولا بجزار على ظهر وضم
قد لفّهـــا الليـــل بعصلـــبيّ أروع خـــراج من الدّوي
مهاجر ليس بأعرابيّ
قد شمّرت عن ساقها فشدّوا وجدّت الحرب بكم فجدّوا
والقـــوس فيها وتـــر عرد مثل ذراع البكـــر أو أشدّ[2].

فالمتأمل في هذه الأبيات الشعرية يرى بأنها تتحدث عن راع يسوق إبله بغير شفقة ولا رحمة من جهة، ومن جهة أخرى يرى بأنها تتحدث عن الحرب وقسوتها، لكن معناها الحقيقي هو أن أهل العراق تنتظرهم أيام سود لأنّ راعي الإبل القاسي هو الحجّاج بن يوسف الثقفي، والمقصود بالإبل هم أهل العراق، والمعنى المراد من هذه السّور البيانية هو أن الحجاج سيعيد أهل العراق إلى الطريق الصّحيح: طريق الطاعة وطريق الحق، وكل من يحيد عنها يكون مصيره مصير الإبل الشّاردة التي تضرب ضربا مبرّحا يهشّم أضلاعها لأنها خرجت عن القطيع، وكذلك حديثهم عن الحرب، فالحرب يقصد بها أن ما ينتظر أهل العراق من قتل وضرب بالسيف ونهب للأموال على يده يشبه الحرب في هولها لذلك دعاهم للاستعداد إلى ما ينتظرهم.

---

[1] هذه المبادئ الأربعة هي: مبدأ الكم: وهو المساهمة في الحوار بالقدر المطلوب دون زيادة أو نقصان، ومبدأ الكيف: وهي المساهمة الصحيحة في الحوار أو الحديث، فلا يتحدث إلا الحقيقة أو ما يملك عليه دليلا كاف، ومبدأ المناسبة وهو جعل الكلام ذا علاقة بموضوع الحديث أو الحوار، أما مبدأ الطريقة أو حكم الكلام فهو عرض الكلام بوضوح وتحاشي الغموض وتقديم الحجج في شكل منظّم. ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداوليّة، ص: 33. وينظر كذلك محمود أحمد نحلة، المرجع السابق، ص: 34.

[2] أحمد زكي صفوت، السابق، ص:289.

وفي مواقف أخرى، استخدم الحجاج ألفاظا وكلمات تحمل معان مغايرة تماما لمعانيها التي تستشفّ من السّياق الذي وردت فيه، مثل قوله في الخطبة السياسية الخامسة: " أيّها الناس من أعياه داؤه فعندي دواؤه، ومن استطال أجله فعليّ أن أعجّله، ومن ثقل عليه رأسه، وضعت عنه ثقله " [1]، وقوله كذلك في نفس الخطبة: " إنّ الحزم والعزم سلباني سوطي، وأبدلاني به سيفي، فقائمه في يدي ونجاده في عنقي وذبابه قلادة لمن عصاني " [2]، ففي هذين المثالين استخدم الحجاج تعابير مجازية قد لا يفهم القارئ أو السّامع مضمونها من خلال معناها الحرفيّ، فالسؤال الذي يطرح هنا: لماذا تحدث الحجاج عن الدّاء والدّواء وماذا يقصد بكلّ منهما، وثقل الرأس ووضعه وذباب السيف والقلادة، فالقارئ أو السامع يجب عليه أن يفهم المقصود من هذه التعابير المجازيّة ويبحث عن المعنى من وراء هذا الكلام، وقوله كذلك في الخطبة السياسية السابعة: " يا أهل الكوفة إنّ الفتنة تلقح بالنجوى، وتنتج بالشكوى، وتحصد بالسيف ..." [3]. فما يظهر من كلام الحجاج أنّه يقدّم النصيحة لأهل الكوفة ولكن ما يفهم منه أنه تهديد ووعيد من المناجاة والتشكي لديه، لأنّ مثل هذه التصرفات كما يقول هي أصل الفتنة ومنبتها،وبالتالي يكون مصير أصحابها الضّرب بالسيف، أما قوله في الخطبة الوعظية الرابعة: " اللهم أرني الغيّ غيّا فأجتنبه، وأرني الهدى هدى فأتّبعه، ولا تكلني إلى نفسي فأضلّ ضلالا بعيدا " [4]، فللوهلة الأولى يبدو الحجاج وكأنّه يدعو الله سبحانه وتعالى أن يصلح نفسه ويريه الحق والهدى، ولكنّ المعنى المراد من خلال المقام – وهو مقام إلقاء خطبة – هو الوعظ والإرشاد لأهل العراق لكي يتبعوا الطريق الصحيح: طريق الحقّ.

---

[1] أحمد زكي صفوت، السابق، ص:292.

[2] المرجع السابق السابق، ص:292.

[3] أحمد زكي صفوت، السابق، ص:295.

[4] أحمد زكي صفوت، السابق، ص:303.

4. 2 الأفعال الكلاميّة: Les actes de langage:

تستأثر الأفعال الكلامية باهتمام الباحثين، ليس فقط في المجال التداولي بل في الجوانب النظرية العامة لاستعمال اللغة، فعلماء النفس يرون أن اكتسابها شرطا أساسيا لاكتساب اللغة كلّها، ونقاد الأدب يرون فيها إضاءة لما تحمله النصوص من فروق دقيقة في استعمال اللغة أما الانتربولوجيون فيأملون أن يجدوا فيها تفسيرا للطقوس والرقى السحرية، في حين يرى الفلاسفة فيها مجالا خصبا لدراسة علاقة اللغة بالعالم، واللغويون يجدون فيها حلولا للكثير من المشكلات المتعلقة بالدّلالة والتراكيب وتعليم اللّغة الثّانية. [1].

ويعدّ جون أوستن المؤسس الأول لنظرية الأفعال الكلاميّة حيث رأى أنّ وظيفة اللغة الأساسية ليس إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار فحسب، وإنما هي مؤسّسة تتكفّل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صيغة اجتماعية، فحينما يقول القاضي مثلا: فتحت الجلسة، يكون قد أنجز فعلا اجتماعيا وهو فتح الجلسة [2].

وقد ظهرت أفكار أوستن عن الأفعال الكلامية في محاضراته التي ألقاها في جامعة هارفارد، سنة 1955، والتي جمعت في كتاب نشر بعد وفاته المفاجئة سنة 1960 تحت عنوان: (كيف نصنع الأشياء بالكلمات) وانطلق في تحديده للأفعال الكلامية من رفضه للرأي القائل بوجود أقوال لغوية صادقة وأخرى كاذبة، إذ عدّها مغالطة وصفية بخاصة إذا نظرنا إلى الكم الهائل من العبارات التي لا تصف العالم, ولا تقرّر حقيقة، وإنما تنجز فعلا وتوقع عملا[3].

وينقسم الفعل اللغويّ أو الكلاميّ في رأي أوستن إلى قسمين:

4. 2. 1 أفعال إخبارية constative: وهي أفعال إخبارية تقريرية وصفية يمكن أن نحكم عليها بالصدق أو الكذب.

---

[1] ينظر محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر، ص: 40، 41.

[2] ينظر عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداوليّة، منشورات الاختلاف، (ط 01)، 2003، ص: 155. وللاستزادة ينظر نعمان بوقرة، اللغة ومنطق الاستعمال فغي ضوء النظرية التصويريّة وأفعال الكلام، مجلة اللسانيات واللّغة العربيّة، منشورات جامعة عنابة، عدد 02، سنة 2006، ص: 352.

[3] ينظر الجيلالي دلاش، مدخل إلى السانيات التداولية، ص: 22. وينظر كذلك نعمان بوقرة، المرجع السابق، ص: 352.

4. 2.2 أفعال إنجازية أو أدائيّة performative: يمكن أن تكون موفقة أو غير موفقة مثل التسمية والوصية والاعتذار والرهان والنصح والوعد ... ولا تكون الأفعال الأدائية إلا إذا تحققت لها جملة من الشروط، وهذه الشروط أطلق عليها أوستن اسم شروط الملائمة[1].

غير أنّ هذا التقسيم لم يقنع أوستن الذي أعاد تقسيم الأفعال الكلامية وذلك حسب قوّتها الإنجازية – لأنها تعدّ صلب العملية اللسانية كلّها[2] – إلى خمسة أصناف وهي:

4. 2.2. 1 أفعال الأحكام verdictives: وهي التي تعبر عن حكم يصدره محلّف أو حكم أو قاض، وقد تكون هذه الأفعال الكلامية أحكاما نهائيّة أو نافذة، وقد تكون تقديريّة أو ظنّية، مثل: يبرّئ، يقدّر، يقوّم، يشخّص، يحلّل ... [3].

4. 2.2.2 أفعال القرارات exercitives: وتتمثّل في اتخاذ قرار معين لصالح شخص ما أو ضدّه مثل الإذن والطرد والحرمان والتحذير ... [4].

2.2.4. 3 أفعال التّعهّد commessives: وهي التي تعبّر عن تعهّد المتكلّم بفعل شيء ما أو إلزام نفسه به مثل التعهد والتعاقد على...، أضمن، أقسم على (القسم)، أقبل... [5]، فالمتكلم بتفوهه بالكلام يؤسس وجوب القيام بمحتوى قوله [6].

2.2.4. 4 أفعال السلوك behabitives: وهي تشكل مجموعة متباينة ترتبط بالسلوك الاجتماعي للمتكلم حيث تدفعه إلى اتخاذ الموقف المنصوص عليه في القول إزاء المخاطب مثل: الاعتذار والشكر والتعاطف والمواساة والتحية والرجاء والتحدّي[7].

---

(1) هذه الشروط هي: ضرورة وجود إجراء عرفيّ مقبول اجتماعيّا كالزواج والطلاق ... ويتضمن هذا الإجراء نطق كلمات معينة من طرف أشخاص معيّنين في ظروف معيّنة وأن يكون هؤلاء الأشخاص مؤهلين لإنجاز هذا الفعل مع السبق في المشاعر والنوايا وإلزام أنفسهم به. ينظر نعمان بوقرة، المرجع السابق، ص: 353. وينظر كذلك: محمود أحمد نحلة، المرجع السابق، ص: 44، 45.

(2) ينظر نعمان بوقرة، المرجع السابق، ص: 354.

(3) ينظر عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداوليّة، ص: 159. وينظر كذلك: محمود أحمد نحلة، السابق، ص: 69.

(4) ينظر عمر بلخير، السابق، ص: 159. وينظر كذلك: محمود أحمد نحلة، السابق، ص: 69، و70.

(5) ينظر: محمود أحمد نحلة، السابق، ص: 70.

(6) ينظر عمر بلخير، السابق، ص: 159.

(7) ينظر عمر بلخير، السابق، ص: 159.

2.2.4. 5 أفعال الإيضاح expositives: وهي الّتي تستخدم لتوضيح وجهة النظر أو بيان الرأي وذكر الحجة مثل: الإثبات والإنكار والمطابقة والاستفهام والملاحظة والتنويه والإجابة والتصويب والتفسير والتأويل... [1].

5. الأفعال الكلاميّة في خطب الحجّاج بن يوسف الثّقفي:

ونأتي الآن إلى دراسة الأفعال الكلامية في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي، ولكن ينبغي التنبيه إلى أن أفعال الكلام في هاته الخطب كثيرة جدّا ومتداخلة تستحقّ الدّراسة في بحث منفصل ومفصّل.

5. 1 أفعال الأحكام أو الحكميات: ومن أمثلتها في خطب الحجاج قوله في الخطبة السّياسية الأولى وهي خطبته بعد مقتل بن الزبير: " ألا إن بن الزبير كان من أحبار هذه الأمة حتّى رغب في الخلافة ونازع فيها، وخلع طاعة الله واستكنّ بحرم الله..." [2]، فالحجّاج هو ومن كلفه بمهمة قتل ابن الزبير وهو أمير المؤمنين الذي يمثل السلطة، قد رأوا وحلّلوا وحكموا بأن ابن الزبير قد خرج عن الطاعة لذلك يستحقّ الموت، وتجدر الإشارة إلى أنّ الأفعال الكلامية الدّالة على الأحكام أو الحكميات تتناسب مع غرض التقرير والوصف مثل قول الحجاج في الخطبة السياسية الثالثة : " ...لأنّكم طالما أوضعتم في الفتن واضطجعتم في مراقد الضلال، وسننتم سنن الغيّ" [3]، فالحجاج هنا حكم على أهل العراق بأنهم قوم ميالون للفتن والضلال والغي، وقد استعمل لذلك كلاما يصف فيه حالتهم النفسية وقد كان يحتوي على ثلاثة أفعال كلامية وهي: أوضعتم، اضطجعتم، سننتم، وكلها تدل على وضعية أو صورة من الصور، وقوله كذلك في الخطبة السياسية السادسة: " إن بعثتكم إلى ثغوركم غللتم وخنتم وإن أمنتم أرجفتم " [4]، فالحجاج في هذا المثال يحكم على على أهل العراق بالشقاق والنفاق والخيانة، وقد أصدر حكمه هذا حتى قبل أن يرى الواقعة بعينه، وقوله كذلك في الخطبة السياسية الثالثة عشرة: " ألا وإنكم ستقولون بعدي مقالة، ما يمنعكم من إظهارها إلاّ مخافتي: ألا وإنكم ستقولون بعدي: لا أحسن الله له الصحابة " [5]، فالحجاج أطلق في

---

(1) ينظر: محمود أحمد نحلة، السابق، ص: 70.

(2) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، ص:287.

(3) أحمد زكي صفوت، نفسه، ص:290.

(4) نفسه، ص: 294.

(5) نفسه، ص: 299.

في هذا المثال حكما قد يكون تقديريا أو ظنيا، حيث نجده يحكم بأن أهل العراق سيقولون بعد سفره كلاما جارحا، ويبدو جازما ومتأكدا من ذلك الحكم.

5. 2 أفعال القرارات أو الإنفاذيات: وهي كثيرة جدا في خطب الحجاج - باعتبار الحجّاج يمثل السلطة الشرعية على أهل العراق — ومن أمثلتها قوله في الخطبة السياسية الثانية: " فإيّاكم أن تزلّوا عن سنن أقمناكم عليه فأقطع عنكم ما وصلته لكم بالصارم البتار، وأقيم من أودكم ما يقيم المثقف من أود القناة بالنار "[1]، فالفعل الكلامي الظاهر من هذا المثال هو التحذير من الخروج عن الطاعة، والأمثلة كثيرة جدا عن الفعل الكلامي المتضمن التحذير والتهديد، مثل قول الحجاج في الخطبة السياسية الثالثة: " فإيّاي وهذه الشفعاء والزرافات والجماعات وقالا وقيلا، وما تقول وفيما أنتم وذاك " [2]، فهذا المثال أيضا كما يبدو فعل كلامي تحذيري، وقوله كذلك في الخطبة السياسية الثانية عشرة: " أيها الناس إياكم والزيغ فإن الزيغ لا يحيق إلا بأهله، ورأيتم سيرتي فيكم وعرفت خلافكم وطيبكم، على معرفتي بكم، ولو علمت أنّ أحدا أقوى عليكم مني أو أعرف بكم ما ولّيتكم، فإياي وإياكم، من تكلم قتلناه، ومن سكت مات بدائه غما " [3].

ومن أمثلة القرارات كذلك النصح والوعظ، ونجده واضحا في خطب الحجاج الوعظية، ومنها قوله في الخطبة الوعظية الأولى: " أيها الناس قد أصبحتم في أجل منقوص، وعمل محفوظ، ربّ دائب مضيع، وساع لغيره، والموت في أعناقكم، والنار بين أيديكم، والجنة أمامكم، خذوا من أنفسكم لأنفسكم، ومن غناكم لفقركم وممّا في أيديكم لما بين أيديكم..." [4]، وقوله كذلك في الخطبة الوعظية الثانية: " امرؤ فكّر فيما يقرؤه غدا في صحيفته ويراه في ميزانه، امرؤ كان عند همّه آمرا، وعند هواه زاجرا، امرؤ أخذ بعنان قلبه، كما يأخذ الرجل بخطام جمله، فإن قاده إلى حق تبعه، وإن قاده إلى معصية الله كفّه" [5]، فالحجاج استخدم أفعالا لغوية مثل: فكر، قرأ، رأى، أخذ، قاد، تبع، كفّ، وكلها تدل على ممارسة أو تنفيذ شيء، وكلها ارتبطت في هذا المثال بالوعظ والنصح.

---

(1) **نفسه، ص: 287 و 288.**

(2) **نفسه، ص: 290.**

(3) **نفسه، ص: 298.**

(4) **نفسه، ص:301.**

(5) **نفسه، ص:302.**

5. 3 أفعال التعهد أو الوعديّات: جاء هذا النوع من الأفعال الكلامية بكثرة على صيغة القسم الذي ورد عشرون مرّة في خطب الحجاج ومنها قوله في الخطبة السياسية الثالثة: " أما والله لألحونكم لحو العصا ولأقرعنكم قرع المروة ولأعصبنكم عصب السلمة " [1]، فالحجاج في هذا المثال يتعهد بأن يذيق أهل العراق لعذاب الشديد القاسي، وقوله كذلك في الخطبة نفسها: " أما والله لتستقيمن على طريق الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلا في جسده " [2]، وكذلك قوله في الخطبة السياسية الرابعة:" والله لا آمر أحدكم أن يخرج من باب من أبواب المسجد فيخرج من الباب الذي يليه، إلاّ ضربت عنقه " [3]، فالحجاج يقسم ويتعهد بأن من يعصي أمره من أهل العراق سيكون مصيره الموت، وقوله في الخطبة السياسية الثامنة: " أما والله لو أمرت الناس أن يأخذوا من باب واحد فأخذوا من باب غيره لكانت دماؤهم لي حلالا من الله " [4]، فالشيء الملاحظ هو أن أفعال التّعهّد في هذه الأمثلة والأمثلة الأخرى مرتبطة دائما بشرط لتحقيقها وتجسيدها من طرف الحجاج نفسه، فمثلا قوله فغي الخطبة السياسية الثامنة: " عذيري من عبد هذيل يقرأ القرآن كأنه رجز الأعراب، أما والله لو أدركته لضربت عنقه – يعني عبد الله بن مسعود – " [5]، فالحجاج هنا يتعهد بضرب عنق عبد الله بن مسعود ولكن بشرط إدراكه وهو يقرأ القرآن كأنه رجز الأعراب.

5. 4 أفعال السلوك أو السلوكيّات: وقد كانت قليلة فيخطب الحجاج بن يوسف تجسّدت في بعض المواقف التي تحدّث فيها الحجاج نفسه عن شعوره تجاه مخاطبيه ومنها قوله في الخطبة السياسية السادسة: " يا أهل الشّام إنما أنا لكم كالظليم الرامح عن فراخه، ينفي عنها المدر ويباعد عنها الحجر، ويكنّها من المطر ويحميها من الضّباب ويحرسها من الذئاب، يا أهل الشام أنتم الجُنّة والرّداء، وأنتم العدّة والحداء " [6]، فالحجاج هنا يعبر عن شدة حبه لأهل الشام من خلال عدة أفعال هي: ينفي، يباعد، يكنّ، يحميّ، يحرص، وهي كلّها أفعال جاءت في هذا السياق لتعبر عن

---

[1] **نفسه، ص:290.**

[2] **نفسه، ص:291.**

[3] **نفسه، ص:292.**

[4] **نفسه، ص: 296.**

[5] **نفسه، ص:296.**

[6] **نفسه، ص:294، 295.**

الحبّ والودّ، أما قوله في الخطبة السياسية السابعة، أما والله إن أبغضتموني لا تضروني، وإن أحببتموني لا تنفعوني، وأما أنا بالمستوحش لعداوتكم ولا المستريح إلى مودّتكم " [1]، وقوله كذلك في الخطبة السياسية العاشرة: " وأنا والله لرؤيتكم أكره، ولولا ما أريد من تنفيذ طاعة أمير المؤمنين ما حمّلت نفسي مقاساتكم والصّبر على النّظر إليكم، والله أسأل حسن العون عنكم " [2]، ففي هذين المثالين يعبّر الحجّاج عن مدى مقته وكرهه لأهل العراق حتّى أنّه لا يطيق النظر إليهم.

5. 5 أفعال الإيضاح أو التّبيينات: وهناك من يسميها أفعال العرض، وهي كثيرة جدّا في خطب الحجاج ومن أمثلتها قول الحجاج في الخطبة السياسية الثانية: " موج ليل التطم، وانجلى بضوء صبحه، يا أهل الحجاز كيف رأيتموني؟ ألم أكشف ظلمة الجور وطخية الباطل بنور الحق ؟ "[3]، فالحجاج يبيّن لأهل الحجاز كيف كشف الحق وأزال الظلمة؛ ظلمة الجور ولكنّه استعمل التّساؤل في هذا التوضيح وهذا الكلام، وقوله كذلك في الخطبة السياسية السادسة: " فكيف تنفعكم تجربة أو تعظكم وقعة أو يحجزكم إسلام أو ينفعكم بيان ؟ ألستم أصحابي بالأهواز ؟ "[4]، فالحجاج يبيّن لأهل العراق أنه لم يعد ينفعهم شيء في حياتهم، لا تجربة يستفيدون منها ويأخذون منها العبر، ولا وقعة ولا إسلام، ولا بيان، ولم يكن له من بد لتوضيح هذه الأمور إلاّ بالاستفهام، وكذلك قوله في الخطبة السياسية السابعة:" يا أهل الكوفة، إنّ الفتنة تلقح بالنجوى، وتنتج بالشكوى، وتحصد بالسيف " [5]، فالحجاج يبين ويؤكد لأهل العراق أنّ الفتنة منبتها النجوى والشكوى، وأنّ نهايتها الموت بالسيف، وأيضا قوله في الخطبة السياسية الثامنة: " قال الله تعالى: ﴿ فَاتَّقُــوا الله مَا اسْتَطَعْتُــمْ ﴾[6]، فهذه لله وفيها مثوبة، وقال: ﴿ واسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾[7] وهذه لعبد الله وخليفة الله عبد الملك بن مروان " [1]، فكلام الحجاج هذا فيه شرح وتأويل وتأويل لآيات قرآنيّة حيث يعرض الآية الكريمة ثمّ يفسّرها ويوضّح معناها.

---

[1] نفسه، ص:295.

[2] نفسه، ص:297.

[3] نفسه، ص:287.

[4] نفسه، ص:293.

[5] نفسه، ص:295.

[6] سورة التغابن، الآية: 16.

[7] سورة التغابن، الآية: 16.

ومن أفعال الإيضاح أيضا الوصف، وهو متنوّع في خطب الحجّاج، خاصّة وصفه لأهل العراق في مواقف عديدة، ومنها قوله في الخطبة السياسية السّادسة: " إذ ولّيتم كالإبل الشّوارد إلى أوطانها النّوازع إلى أعطانها، لا يسأل المرء عن أخيه ولا يلوى الشيخ عن بنيه، حتّى عضّكم السّلاح وقصمتكم الرّماح، ثم يوم دير الجماجم، وما يوم دير الجماجم، بها كانت المعارك والملاحم، بضرب يزيل الهام عن مقيله، ويذهل الخليل عن خليله ... "[2]، فهذا المقطع الطّويل من الخطبة يصف فيه الحجّاج حال أهل العراق أثناء الحروب والغزوات، منها حرب يوم الزاوية وحرب دير الجماجم، وقد استعمل فيها أفعالا لغوية عديدة منها ولّيتم، لا يسأل، لا يلوى، عضّكم، قصمتكم، يزيل، يذهل، وهي كلّها أفعال تتحدّث عن حالة أهل العراق.

---

[1] أحمد زكي صفوت، السابق، ص:**295**، **296**.

[2] نفسه، ص:**294**.

الخـــلاصـــــة:

حاولنا في هذا الفصل الوقوف على عناصر التشكيل السياقي في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي من خلال سياق الكلمة وسياق الجملة، فسياق الكلمة في خطب الحجاج أظهر لنا كيف ساهمت السوابق واللواحق في تنويع الدّلالات وإثرائها إلى جانب السّياق التّجاوريّ الذي زاد في أفق المعاني من خلال كثرة المترادفات التي قدّمت لنا في كلّ مرّة معان جديدة وصور جديدة ومتنوعة، وكذلك ما قدّمه كلّ من التضاد والجناس الصوتي والمعنى العاطفي وموقف التلفظ أو الكلام من مساهمات فعّالة في تفجير المعاني وتوسيعها.

ورأينا أيضا كيف ساهم سياق الكلمة مع سياق الجملة في إظهار الدّلالة الكلّية من خلال المعاني المباشرة الظّاهرة، إضافة لإجلائه للدّلالة الكلّية التأويلية من خلال الرمز الدّيني والبعد الاجتماعيّ والنفسي والسياسي.

أما دراستنا لظاهرة الاستلزام الحواريّ فبيّنت لنا كيف يتم التمييز بين المعنى الحرفي والمعنى المستلزم من المقام في خطب الحجاج، كما ساهمت الأفعال الكلامية في إظهار التنوع اللغويّ في كلام الحجّاج، وانسجامه مع المواقف التي يكون فيها، وذلك بالحضور المكثّف خاصّة لأفعال الإيضاح وبدرجات متفاوتة أفعال القرارات والحكميات والوعديات والسلوكيات.

الخاتمة

وقفنا من خلال هذه الرّحلة القصيرة التي حاولنا أن نقارب فيها بين ما توفره اللسانيات النصية من عناصر للتحليل وكيفية تطبيقها عمليا على خطب الحجاج بن يوسف الثقفي، لنعرف مدى كفاءتها في ملامسة المعاني المرادة من خلال الأنساق اللغوية، وقد أرست بنا على عدّة نتائج لعلّ أهمّها ما يلي:

1- أنّ الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص أمر فرضته المستجدّات التي أصبحت الدّراسات النّسقيّة الشكلية لا تستوعبها كالجوانب الدلالية والتّداولية، فكان هذا الانتقال وهذا التحول لبس مجرد تعديل في اسم المنهج أو في طريقة التحليل، وإنما التّعديل مسّ الجوهر، وهو بروز أدوات إجرائية أكثر مطاوعة وأكثر ليونة، ساعدت النّقاد على التعامل مع النصوص بطريقة شموليّة.

2- أنّ الكفاءة النّصية لا تتأتّى أبدا من خلال تفكيك ودراسة المظاهر الشّكلية للنصوص، وإنّما تساهم عناصر أخرى أيضا غير لغوية في بناء هذه الكفاءة المتمثلة في درجة الاتساق والانسجا م والترابط اللغوي، فدراسة التّشكيل النّصي في خطب الحجّاج بين لنا مدى الترابط الشكلي بين هذه الخطب من خلال غزارة الإحالة، وأدوات الربط، وأدوات المقارنة، والحذف، والاستبدال، والتوازي، والتكرار بحيث ظهرت وكأنّها خطبة واحدة، أما دراستنا لأدوات الانسجام، فقد بينت لنا مدى التماسك الدلالي في خطب الحجاج من خلال الصّور الدلالية المتوالية، التي جلت من خلال مظهري الوصف والسّرد.

3- أنّ دراستنا للتشكيل السياقي لخطب الحجاج بين لنا كيف يساهم السياق في إثراء المعاني، من خلال الوقوف على دلالة السوابق واللواحق ودورها في تنويع معاني الكلمات بحسب تلك السابقة أو اللاحقة،إضافة إلى ما قدمه لنا سياق الجملة من خلال مظاهر الترادف والتضاد والجناس الصوتي والموقف والمعنى العاطفي، ورأينا كيف ساهم سياق الكلمة وسياق الجملة في إظهار الدلالة الكلية للخطب؛ وهي تنقسم إلى الدلالة الكلية المباشرة المتجلية في المعاني المباشرة الظاهرة، والدلالة التأويلية التي تتجلى بعد تفكيك الرموز الدينية، والأبعاد النفسية، والاجتماعية، والسياسية للأنساق اللغوية.

4- أن دراسة الاستلزام الحواري بيّنت لنا كيفية التمييز بين المعنى اللغوي المركزي، والمعنى المراد من كلام الحجاج في سياقه.

5- أنّ دراستنا للأفعال الكلامي في المدونة، بينت لنا كثرة أفعال الإيضاح وهو أمر طبيعي لأن الحجاج يمثل السلطة، لذلك يبين ويفسر ويوضح المطلوب من أهل العراق، إضافة إلى ورود أفعال القرارات، والحكميات، والوعديات، والسلوكيات.

6- أن الثراء اللغوي الموجود في خطب الحجاج يدلّ على أنه لديه موهبة فطرية خارقة وتنوع فكري خصب جعلاه خطيبا متفرّدا في كل الأزمنة، وإلا كيف نفسر تلك اللغة البليغة الفصيحة التي يطلقها في كل مرة وبطريقة عفوية ارتجالية.

وفي الأخير نرجو من الله التوفيق، والحمد لله.

قائمة المصادر والمراجع

قـــائـــمـــة الـــمـــصـــادر والـــمـــراجـــع

❖ **القرآن الكريم.**

أوّلا/ المصادر:

أحمد زكي صفوت:

1. جمهرة خطب العرب في عصور العربيّة الزّاهرة، العصر الأمويّ، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، الجزء 02، (ط1)، 1933.

ثانيا/ المراجع:

أ.المراجع العربية:

إبراهيم خليل:

2. الأسلوبيّة ونظريّة النّص، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، (ط1)، 1997.
3. في اللّسانيّات ونحو النّصّ، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط(01)، 2007.

إبراهيم صحراوي:

4. تحليل الخطاب الأدبي، دراسة تطبيقية (رواية جهاد المحبّين لجرجي زيدان أنموذجا)، دار الآفاق، الجزائر، (ط2)، 2003.

– أحمد عفيفي:

5. نحو النّصّ " اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ "، مكتبة زهراء الشّرق، (ط1)، 2001.

– أحمد المتوكّل:

6. آفاق جديدة في نظرية النّحو الوظيفيّ، منشورات كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، الرّباط، سلسلة بحوث ودراسات، (ط01)، 1993.
7. قضايا اللّغة العربيّة في اللّسانيات الوظيفيّة " بنية الخطاب من الجملة إلى النّص"، دار الأمان للنّشر والتّوزيع، الرّباط، (ط01)، 2001.

– أحمد مختار عمر:

8. علم الدّلالة، عالم الكتب، القاهرة، (ط05)، 1998.

الأزهر الزناد:

9. نسيج النص " بحث فيما يكون به الملفوظ نصا "، المركز الثقافي العربيّ، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1993.

- إيليا حاوي:

10. فن الخطابة وتطوره عند العرب، دار الثقافة، بيروت – لبنان، (د.ط)، 1997.

- تمام حسّان:

11. مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د.ط)، 1986.

- جمال الدّين محمد بن عبد الرحمن الدّمشقي الشافعي المعروف بالخطيب القزويني:

12. التلخيص في علوم البلاغة، وهو تلخيص مفتاح العلوم للسكاكي، حققه وشرحه وأعد فهارسه: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان (ط01)، 1997.

أبي الحسّن علي بن الحسين المسعودي:

13. مروج الذهب ومعادن والجوهر، تحقيق وتعليق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت لبنان، الجزء 03، (ط01)، 2000.

حسن ناظم:

14. البنى الأسلوبية دراسة في أنشودة المطر لسياب، المركز الثقافي العربي، الدار البضاء، المغرب،(ط01)، 2002.

سعيد حسن بحيري:

15. علم لغة النص" المفاهيم والاتجاهات"، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، (ط 01) 1997.

16. ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي " دراسة في العلاقة بين البنية والدلالة" مجلة الأنجلو المصرية، (دط)، 1995.

سعيد يقطين:

17. انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، المركز الثقافي العربي، المغرب، (ط 02)، 2001.

18. تحليل الخطاب الروائي (الزمن ،السرد ،التبئير)، المركز الثقافي العربي، (ط 03)، 1997.

- سامي عياد حنا وشرف الدين الراجحي:

19. مبادئ علم اللسانيات الحديث.دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (دط)1991 .
- السيد أحمد الهاشمي:
20. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب. تحقيق لجنة من الجامعيتين، منشورات مؤسسةالمعارف ،بيروت، ج1 ، (ط1)، (ط د).
21. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ،ضبط وتدقيق وثوتيق :يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ،صيدا بيروت (ط1)1999 .
- صبحي ابراهيم الفقي :
22. علم لغة النص بين النظرية والتطبيق "دراسة تطبيقية على السور المكية "،دار قباء للطبع والنشروالتوزيع ،ج1 (ط1)2000 .
- صلاح فضل :
23. بلاغة الخطاب وعلم النص ،الشركة العالمية للنشر لونجمان (ط 1) 1996 .
- عبد العزيز العيادي :
24. ميشال فوكو: المعرفة والسلطة ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ،(ط1)1994 .
- أبي علي بن رشيق القيرواني :
25. العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الجزء 01، (ط1)، 2000.
- عمر أوكان:
26. لذّة النص أو مغامرة الكتابة لدى بارث، إفريقيا الشرق، (ط1)،1996.
– عمر بلخير:
27. تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، (ط1)، 2003.
- عبد القاهر الجرجاني:
28. أسرار البلاغة، تحقيق: محمد الفاضلي، المطبعة العصرية، صيدا – بيروت، (د.ط)، 2003.
29. دلائل الإعجاز، شرحه وعلّق عليه ووضع فهارسه: محمد ألتنجي، دار الكتاب العربيّ، بيروت – لبنان، (ط1)، 2005.
- أبو محمد عبد الرحمن جمال الدين بن هشام الأنصاري:

30. شرح قطر الندى وبل الصدى، ومعه كتاب: سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى، تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع للنشر والتوزيع، (د.ط)، 2004.

- محمود أحمد نحلة:

31. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، 2002.

- محمد خطابي:

32. لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، (ط1)، 1991.

- محمد الشاوش:

33. أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت، مجلد1 و 2، (ط1)، 2001.

- محمد محمد داود:

34. العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، (ط1)، 2001.

- محمد مفتاح:

35. تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركزو الثقافي العربي، (ط4)، 2005.

- مراد عبد الرحمن مبروك:

36. من الصوت إلى النص " نحو نسق منهجي لدراسة النص الشعري "، دار الوفاء، للطباعة والنشر، (ط1)، 2002.

- منذر عياشي:

37. العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2004.

- عبد المالك مرتاض:

38. تحليل الخطاب السرديّ " معالجة تفكيكيّة سيميائيّة مركّبة لرواية زقاق المذق "، ديوان المطبوعات الجامعيّة، (د،ط)، 1995.

- عبد الهادي بن ظافر الشهري:

39. استراتيجيات الخطاب " مقاربة لغوية تداولية "، دار الكتاب الجديد المتحدة، (ط. 1)، 2004.

ب.المراجع المترجمة:

- الجيلالي دلاش:
40. مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعيّة، (د.ط)، 1992.
- جيليان براون وجورج يول:
41. تحليل الخطاب، ترجمة: لطفي الزّليطني ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، الرياض، (د.ط)، 1997.
- دوبو غراند:
42. النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، (ط.1)، 1998.
- ساره ميلز:
43. الخطاب، ترجمة يوسف بغول، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة منتوري، قسنطينة، (د.ط)، 2004.

ج. المراجع الأجنبية:

- (E) Benveniste:
. Problèmes de linguistique générale, édit, Gallimard, 1996.44
- (D) Mangueneau :
. Initiation aux méthodes de l’analyse de discours, 54 problèmes et perspectives, classique hachette, 1999.

ثالثا/ المعاجم:

- أحمد مطلوب:
46. معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها، عربي – عربي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، (ط2)، 2000.
- محمد ألتونجي:
47. معجم علوم العربية، دار الجيل، (ط1)، 2003.
- محمد بن أبي بكر الرازي:
48. مختار الصّحاح: دار الكتاب العربي، الكويت، (ط1)، 1994.

- ابن منظور:
49. لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلد 07، (ط1) ، 1994.

رابعا/ المجلاّت والدّوريّات والملتقيات:

أ. المجلاّت والدّوريّات:

50. مجلّة فصول، العددان الأوّل والثّاني، المجلّد العاشر، سنة 1991.
51. مجلّة اللّسانيات واللّغة العربيّة، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربيّة، جامعة باجي مختار- عنّابة، عدد02، ديسمبر 2006.

ب. المجلاّت والدّوريات:

52. ملتقى اللّغة العربية والمصطلح، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، جامعة باجي مختار – عنابة / ماي، 2002.

الفهرس

فهرس الموضوعات

مقدمة	أ_ج
المدخل النظري: اللسانيات النشأة والتطور	01
مقدمة	02
1- لمحة تاريخية عن إرهاصات البحث النّصّي	04
2- اللسانيات النصية: تعريفها ومهامها(وظيفتها)	06
3- المفاهيم والمصطلحات	08
3-1 النص	08
3-2 الخطاب	13
3-3 الاتساق	15
3-4 الانسجام	16
3-5 التّداولية	16
4- التّعريف بالمدوّنة وبصاحبها	18
خلاصة	20
الفصل الأول: التشكيل النصي لخطب الحجاج	21
مقدمة	22
1- الاتساق	22
1-1 الإحالة	22
1-2 الوصل	40
1-3 أدوات المقارنة	42
1-4 التكرار	45

1-5 الاستبدال	49
1-6 الحذف	52
1-7 التوازي	53
2- الانسجام	57
2-1 الوصف	57
2-2 السّرد	61
خلاصة	65
الفصل الثاني: التشكيل السياقي لخطب الحجاج	66
مقدمة	67
1- سياق الكلمة ونسق الخطب	68
1-1 السياق الذاتي	69
1-2 السياق التجاوري	81
1-2-1 الترادف	81
1-2-2 التضاد	83
1-2-3 الجناس الصوتي	84
1-2-4 المعنى العاطفي	85
1-2-5 الموقف	87
2- سياق الجملة وتركيب الخطب	87
2-1 المركب الاسنادي	88
2-2 المركب التكميلي	90
3- الدلالة النصية والرؤية الكلية	94
3-1 الدلالة الكلية الظاهرة	94
3-2 الدلالة الكلية التأويلية	95
3-2-1 الرّمز	95

3-2-2 الدلالة الاجتماعية	95
3-2-3 الدلالة النفسية	96
3-2-4 الدلالة السياسية	97
4- الاتجاه التداولي في البحث اللغوي المعاصر	98
4-1 الاستلزام الحواري	100
4-2 الأفعال الكلامية	103
4-2-1 أفعال الأحكام	103
4-2-2 أفعال القرارات	104
4-2-3 أفعال التعهد	104
4-2-4 أفعال السلوك	104
4-2-5 أفعال الإيضاح	104
خلاصة	104
خاتمة	111
ملحق	111
قائمة المصادر والمراجع	112
فهرس الموضوعات	113

الملخّص

حاولنا من خلال هذا البحث أن نبرز مكانة اللسانيات النصية في ظل الاهتمام اللساني والنقدي العربي المعاصر بالمناهج اللسانية النّقدية الحديثة، بالإضافة إلى محاولة تلمس الأدوات الإجرائية التي أفرزتها اللسانيات النصية، من خلال المدونة المختارة لأجل معرفة مدى ترابطها وتلاحمها.

وقد اخترنا لذلك خطب الحجاج بن يوسف الثقفي للوقوف عن كثب على هذه الإجراءات التي يوفرها هذا المنهج، والوقوف على مدى العلاقة بين الأنساق اللغوية والدلالات والمعاني .

وقد قسمنا بحثنا هذا إلى مقدمة ومدخل نظري وفصلان تطبيقيان وخاتمة ثم ملحق.

وقفنا في المدخل النّظري الموسوم بـــ: اللسانيات النصية: النشأة والتطور، على إرهاصات البحث النصي، ووظيفة هذا المنهج في ظل التداخل المعرفي والعلمي، إضافة إلى الوقوف على أهم المصطلحات التي أفرزها ومنها النص والخطاب والاتساق والانسجام....

أما الفصل الأول الموسوم بـــ: التشكيل النصي، فوضّحنا فيه أولا مدى الترابط النصي من الناحية الشكلية من خلال أدوات الاتساق وهي: الإحالة والوصل والاستبدال والحذف والتكرار...، وبعده تناولنا التّرابط الدلالي للمدونة من خلال أدوات الانسجام وخاصّة وظائف الخطب وذلك من خلال حضور السّرد والوصف فيها.

أما الفصل الثاني الموسوم بـــ: التشكيل السياقي، فوقفنا فيه على سياق الكلمة وسياق الجملة في خطب الحجّاج، إضافة إلى وقوفنا على حدود الاستلزام الحواري والأفعال الكلامية في هذه الخطب.

Résumé

Dans cette étude, nous avons essayé de démontrer l'importance de **la Linguistique Textuelle** à la lumière des efforts déployés par les linguistes arabes contemporains, qui ont présenté un intérêt aux approches (Méthodes) linguistiques et critiques modernes.

On a tenté d'explorer les moyens pratiques résultant de la linguistique textuelle, tout en étudiant le corpus choisi pour aboutir son dégrée de cohésion et cohérence.

En fait,on a opté pour les discours de « El Hadjadj Ibn Youssef Ettakafi » a fin de mieux briller les procédures proposées par la linguistique textuelle, et de savoir la relation entre les systèmes linguistiques et les significations (sens).

Notre travaille est structuré selon un plan ; réparti en un Introduction, un chapitre théorique, deux chapitres pratiques, conclusion suivi d'un annexe.

Dans le chapitre théorique, nous avons abordé la naissance de la linguistique textuelle, et sa fonction à l'interférence des connaissances et des disciplines, ainsi que nous avons éclairé ces certains termes relatifs à la linguistique textuelle : le texte, le discours, la cohésion, la cohérence, et la pragmatique….

Dans le premier chapitre, nous a abordé la formalisation textuelle à travers les moyens de cohésion, la référence, la coordinations,la répétition…Nous avons aussi étudié la cohérence sémantique dans la corpus à travers ces moyens.

Le dernier (02ème) chapitre est consacré à la formalisation contextuelle ou on a abordé le contexte du mot, le contexte de

la phrase dans les discours d'Elhadjedj, nous avons tenté de connaître les limites de l'implication conversationnelle et les actes de parole utilisés dans ces discours.